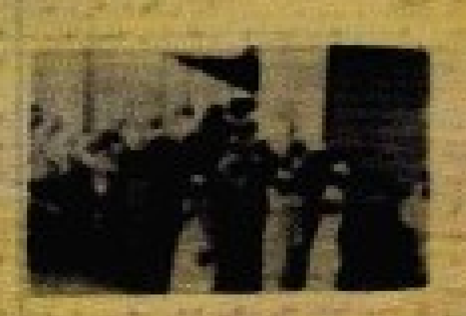
احسن تليلاني

جريدة النجاح

حقيقتها ودورها





جريدة النجاح
حقيقتها ودورها

الكاتب: أحسن تليلاني
العنوان: جريدة النجاح حقيقتها ودورها
السنة: 2007
التصميم / الإخراج: Simple Production
الإيداع القانوني: 3084- 2007
ردمك: 3- 321- 24- 9947- 978

صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007

أحسن تليلاني

جـريدة النجـاح: حقيقتـــها ودورهـــا

(دراسة تحليلية في أول جريدة

في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية والمغاربية)

قسنطينة: سنوات: (1919- 1956)



الإهداء

إلى أجدادنا الأوائل...

أسياد الشمس

والحكمة

وإلى الأحفاد

الباحثين عن الجذور...

عن النور...

في مدى الحقيقة

إليكم جميعا... دون إقصاء

(الباحث)

المقدمة

يتناول البحث قراءة تعريفية وتحليلية في جريدة: "النجاح" وهي أول جريدة عربية يومية ظهرت في القطر الجزائري قبل الاستقلال، تأسست وظهرت بقسنطينة حيث يوجد مقرها ومطبعتها الخاصة (مطبعة النجاح) منذ سنة 1919 وتوقفت في بداية سنة 1956، وهي بذلك تعد أطول الجرائد العربية عمرا وأشملها مادة وأحسنها إخراجا، تنشر الأخبار المحلية والعالمية بوتيرة إعلامية محترفة لكونها مشتركة في الوكالة العالمية «للأنباء هافاس» كما تنشر مادة ثقافية وأدبية جيدة ومتنوعة بتوقيع مختلف الأقلام الجزائرية المشهورة. مؤسس هذه الجريدة وصاحب امتيازها: عبد الحفيظ بن الهاشمي 1895م – 1973م واحد من مثقفي وأعلام الجزائر المولودين بمدينة طولقة، أما رئيس قلم التحرير والمتصرف العام فهو: مامي إسماعيل 1889م 1958م: صحفي وأديب من عائلة شهيرة بمدينة قسنطينة.

لهذه الجريدة مسار حافل في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، كما لها دور بارز في التاريخ الاستعماري لأرض الجزائر، فقد انطلقت إصلاحية لكنها ابتداء من الثلاثينيات تحولت إلى منبر إعلامي بين يدي الإدارة الفرنسية. ورغم أن التجربة الإعلامية لجريدة النجاح تجربة رائدة وثرية في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية إلا أن مختلف الدراسات والأبحاث قد أهملتها ولم تتناولها إلا بالذكر العرضي البسيط جدا وهذا –ربما– بسبب

مواقفها السياسية إضافة إلى أن اهتمام المؤرخين والباحثين الجزائريين انصب أساسا حول إبراز البطولات والتضحيات التي كانت في صالح الحركة الوطنية والثورة التحريرية وأغفلت بذلك الحديث عمن كان ضدها، ذلك الذي ناوء الحركة الوطنية وعتم على الثورة التحريرية وخدم الإدارة الفرنسية وبالتالي فإن تهميش حركة التأريخ لجريدة النجاح تهميش ينبع من عواطف سياسية وطنية ألغت بذلك البحث العلمي عن الدور الثقافي والسياسي الذي أدته هذه الجريدة في التاريخ الجزائري وهو دور بارز بحكم القوة الإعلامية الكبرى التي حظيت بها جريدة النجاح. وإن اختيارنا لهذا الموضوع بالذات ينبع من قناعتنا الراسخة بأن التاريخ هو التاريخ وأن الحقيقة هي أقصى ما ينشده الباحث بغض النظر عن كونها مفرحة أو جارحة، فجريدة النجاح بحضورها القوي حقيقة قائمة في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، والأكيد أن الانكباب على تحليل أرشيفها الموجود بمكتبة باريس وفي المركز الجهوي للأرشيف بقسنطينة سيمكن الباحث من معاينة مادة توثيقية ضخمة ومن استخلاص الكثير من النتائج الهامة في التاريخ الجزائري.

لقد حاولنا في هذا البحث طرح إشكالية الدور الثقافي والسياسي لجريدة النجاح فاعتمدنا على منهج تاريخي يتتبع مسار تطور هذه الجريدة، كما يعتمد المنهج الوصفي في رصد وتحليل مادتها الثقافية والسياسية لاستخلاص خطها الافتتاحي وتوجهاتها ومواقفها وبالتالي إبراز دورها السياسي والثقافي في التاريخ الجزائري.

وبقصد طرح هذه الإشكالية والإحاطة بمختلف عناصرها قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول. تناولنا في الفصل الأول منه: نشأة جريدة النجاح وذلك في سبيل معرفة الظروف التي أحاطت بظهورها فأوضحنا مختلف مراحل نشأة الصحافة العربية في الجزائر قبل أن نقدم صورة معبرة عن المشهد العام لتأسيس وظهور النوادي والصحف العربية بقسنطينة. وختمنا هذا الفصل ببيان نشأة جريدة النجاح وما صاحب هذه النشأة من حقائق وتحديدات تاريخية.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه للتعريف بجريدة النجاح من حيث كونها أول جريدة إخبارية في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية: فأوضحنا صدورها لتبين طابعها العام ومواقيت بروزها وما إذا كانت قد استمرت في الصدور من سنة 1919 إلى سنة 1956؟ (وبعضهم يقول إلى أوائل سنة 1957؟) أم أنها توقفت في بعض السنوات؟ كما عرفنا بمؤسسها وهيئة تحريرها وخاصة مديرها وصاحب امتيازها عبد الحفيظ بن الهاشمي وكذا رئيس قلم التحرير مامي إسماعيل. ثم ناقشنا مواردها ومصادر دعمها وذلك حتى نعرف القوى الظاهرة والخفية التي تدعم هذه الجريدة وتذلل لها مختلف الصعوبات وفي مقابل ذلك تدين الجريدة بالولاء لهذه القوى. وختمنا هذا الفصل بتقديم وصف للمحتوى العام لجريدة النجاح واستخلاص بعض مميزات إخراجها وذلك من خلال تقديم عدد منها اخترناه دون أحكام مسبقة.

وفي الفصل الثالث والأخير طرحنا أبرز إشكالية في الموضوع ممثلة في تحليل الدور الثقافي والسياسي لجريدة النجاح. قسمناه إلى أربعة محاور. ناقشنا في المحور الأول منه: المادة الثقافية والأدبية

التي تقدمها الجريدة ورأينا أن هذه المادة لا تخرج عن شكلين أو قالبين وهما المقالة والنص الشعري، فتناولناهما بقراءة مضامينهما وتحليل خصائصهما الفنية، مستخدمين الاحتجاج بنصوص نشرتها الجريدة لتعليل الأحكام التي خلصنا إليها، وناقشنا في المحور الثاني علاقة الجريدة بالتيار الإصلاحي وما شاب هذه العلاقة من انسجام في السنوات الأولى من تأسيسها ثم ما شهدته تلك العلاقة من اختلاف تجاوز أحيانا حدود الصراع الفكري.

أما المحور الثالث فقد خصصناه لبحث مواقف الجريدة من السياسة الاستعمارية وذلك بالعودة إلى تحليل ما نشرته من طروحات وآراء وما قدمته من أسلوب في معالجتها الإعلامية لأهم الحوادث السياسية التي عاشتها الجزائر حيث توقفنا عند ثلاث محطات من كفاح الشعب الجزائري فحللنا موقف الجريدة من مجازر 08 ماي 1945 وأسلوب معالجتها لانطلاق ثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة. أما المحطة الثالثة فهي هجومات 20 أوت 1955 بقيادة الشهيد البطل زيغود يوسف رحمه الله.

وانطلاقا من رصد وتحليل كل هذه المادة الثقافية والسياسية خلصنا إلى إبراز المحور الرابع في هذا الفصل ألا وهو استخلاص توجهات جريدة النجاح.

ونشير إلى أن هذا البحث قد كلفنا تعبا مضنيا بسبب انعدام المراجع التي قامت بدراسة جريدة النجاح، فكل ما وجدناه عبارة عن تعاريف موجزة لهذه الجريدة أو أحكام عامة حول توجهاتها أو وشهادات عن مواقفها، وجدناها مبثوثة هنا وهناك فيما ذكرناه من مراجع وكان علينا الاستئناس بتلك الفقرات القصيرة

في دراستنا لأرشيف الجريدة حيث أن الحظ قد حالفنا في العثور على مختلف أعداد الجريدة بالمركز الجهوي للأرشيف بقسنطينة.

وإننا إذ نشكر كل من ساعدنا ومد لنا يد العون في إنجاز هذا البحث فإننا ننوه تنويها خاصا بإرشادات ونصائح الدكتور عبد الله حمادي فلولا توجيهاته القيمة ما عرفنا حقيقة جريدة النجاح وما ارتدنا مبنى المركز الجهوي للأرشيف بقسنطينة حيث اكتشفنا ما فيه من خبايا وكنوز لا تقدر بثمن، كما نشكر الدكتور محمد العيد تاورته. وكذلك الدكتور الشاعر يوسف وغليسي الذي أمدنا ببعض المراجع والنصائح.

لسنا مؤرخين ولا ندعي في هذا البحث امتلاك الحقيقة ولكن أملنا أن نكون قد وفقنا في طرح بعض الأسئلة حول تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. **والله ولي التوفيق.**

- ***قسنطينة في: 28 ماي 2005***

الفصل الأول:

نشأة جريدة النجاح.

1- نشأة الصحافة العربية في الجزائر.

2- النوادي والصحف العربية بقسنطينة.

أ- النوادي.

ب- الصحف.

3- نشأة جريدة النجاح.

1/ نشأة الصحافة العربية في الجزائر:

تجمع مختلف الدراسات[1] والبحوث التي أجريت، على أن الصحافة كوسيلة إعلامية عصرية، لم تكن موجودة في الجزائر قبل سنة 1830، وهي السنة التي قامت فيها فرنسا باحتلال الجزائر. فالصحافة بمفهومها المعاصر قد ظهرت وتطورت وانتشرت بأوربا قبل أن يتعرف عليها العالم العربي مع حملة نابليون على مصر سنة 1798 وهي الحملة التي جلبت معها وسائل الطباعة. وبالنسبة للجزائر فإن الجيش الفرنسي الذي قام باحتلال الجزائر قد أحضر معه فيما أحضر مطبعة وهيئة تحرير أوكلت إليها مهمة إصدار جريدة تكون أداة إتصال داخل قوات الجيش الفرنسي، فكانت أول صحيفة تصدر في الجزائر تحمل اسم:

«ليستفيت دي سيدي فرج – L'estafête de sidi Fredj».

لقد كان الاستعمار الفرنسي يعي جيدا ما للصحافة من أهمية ودور في التحكم والسيطرة على الأوضاع في أرض الجزائر فبقدر ما جهز جيشه للغزو العسكري بالمدافع والبنادق جهز إدارته بالإعلام وسلاح الكلمة هذا ما يؤكده «سيف الإسلام الزبير» في قوله: «إن التاريخ السياسي وتاريخ الصحافة يسيران جنبا إلى جنب»[2]. وإذا كانت إدارة الاحتلال الفرنسي قد اجتهدت وتفننت في إصدار الصحف ذات الطابع الحكومي والاستعماري مثل جريدة الأخبار الناطقة بالفرنسية سنة 1839 إلى سنة 1898، فإنها عمدت أيضا إلى إصدار عدة صحف ناطقة بالعربية وهذا لتخاطب الأهالي بلغتهم فتتمكن أكثر من تمرير أهدافها الاستعمارية، يقول "ناصر محمد":

«بدأت الصحافة العربية في الجزائر بداية استعمارية بحتة، وكانت جريدة "المبشر" أول ما عرفه الجزائريون في عالم الصحافة العربية في بلادهم ففي سنة 1848، أمر الملك فيليب ملك فرنسا بتأسيس هذه الصحيفة»[3].

لقد كانت جريدة المبشر في الحقيقة صحيفة ناطقة بالفرنسية والعربية، وجاء صدورها بالعربية لإطلاع الجزائريين عبر صفحاتها على التعاليم والقوانين الصادرة من الولاية العامة، وتستخلص "عبد الرحمن عواطف" هدف هذه الجريدة فتقول: «لكي تكون واسطة للتفاهم مع السكان المسلمين وتستطيع فرنسا من خلالها التأثير على الرأي العام الجزائري»[4].

لقد ورد في الأثر قولهم: «رب ضارة نافعة»، هذا ما ينطبق على تجربة صدور جريدة "المبشر" باللغة العربية، فرغم الطابع الاستعماري لأهدافها ورغم بساطة أسلوبها حد الركاكة والإسفاف، إلا أن هذه التجربة قد فتحت عيون المثقفين الجزائريين ونبهتهم إلى العمل على افتكاك سلاح الصحافة من يد المستعمر لمحاولة التأسيس للصحافة العربية في الجزائر، فمن وحي تجربة جريدة "المبشر" صدرت بعدها عدة صحف أخرى يقول "إحدادن زهير": «والحقيقة أن جريدة "المبشر" لعبت دورا كبيرا في إظهار الصحافة الجزائرية فلقد كانت بمثابة مدرسة تخرج منها الصحافيون الأوائل الذين أنشأوا الصحف باللغة العربية في الجزائر مثل محمود كحول ومامي إسماعيل الذين أسندت إليهم الحكومة الاستعمارية جريدة "كوكب إفريقيا" (ما بين 1907 و1914) وجريدة "النجاح" (ما بين 1919 و1956) اللتين عوضتا جريدة المبشر

بعد مرحلتها الثانية، أو مثل عمر راسم والمولود الزريبي الأزهري الذي أنشأ فيما بعد صحفا أهلية غير حكومية، كما تخرج كذلك من جريدة "المبشر" عدد من المترجمين والتقنيين الحرفيين الذين كانوا دعائم النشاط الصحفي في الجزائر»[5].

إن المتتبع لنشأة وتطور الصحافة العربية في الجزائر يكتشف أن حربا حقيقية قد استهدفت هذه الصحافة، فبقدر ما كان الاستعمار يسعى لترويض هذه الصحافة وجعلها طوع أهدافه وتطلعاته، كانت القوى الوطنية تسعى إلى امتلاكها وتسخيرها في خدمة المطالبة بحقوق الأهالي والدفاع عنهم. وما أكثر ما أصدر الاستعمار من صحف تستجيب لتعليمات إدارته، وما أكثر ما منع وصادر وعلق من صحف اشتم منها رائحة العداء لسياسته الاستعمارية، فالباحثة "عبد الرحمن عواطف"[6] ترى أن الفترة السابقة على الحرب العالمية الأولى (1900 - 1914) تمثل البداية الحقيقية للصحافة الجزائرية المسلمة حيث صدرت أول صحيفتين جزائريتين وهما: جريدة "المغرب" التي صدرت في الجزائر العاصمة من 1903 – 1913 أما الجريدة الأخرى فهي "الصباح" التي أصدرها العربي فخار باللغتين العربية والفرنسية 1904 – 1905 بمدينة وهران، ثم صدرت في الفترة السابقة على الحرب العالمية الأولى 1912 – 1914 أربع صحف كانت تعبر باللغتين العربية والفرنسية عن بعض اتجاهات الرأي العام الجزائري وهي: –جريدة الإسلام الصادرة بالجزائر العاصمة تحت رئاسة صادق دندن بالاشتراك مع عز الدين القلال – وجريدة الحق الوهراني الصادرة بالعربية

في وهران – وجريدة ذو الفقار (سيف الإسلام) الصادرة بالجزائر العاصمة وكانت تتبنى فلسفة محمد عبده الإصلاحية وأخيرا جريدة الفاروق برئاسة عمر بن قدور.

لقد عاشت هذه الصحف مصادمات حقيقية ضد الإدارة الاستعمارية التي توجست منها خيفة فعمدت إلى تضييق الخناق عليها ومصادرتها الواحدة تلو الأخرى إلى درجة أنها منعت نهائيا إصدار الصحف الناطقة باللغة العربية وفي هذا المجال يقول "ناصر محمد": «وعندما اندلعت الحرب الكبرى منعت السلطات الحاكمة بالجزائر إصدار الصحف العربية منعا باتا، كما حرمت دخول الجرائد العربية الشرقية وفرضت عليها رقابة مشددة، فعاش الجزائريون خمس سنوات كاملة (1915 – 1919) محرومين من الاتصال بالعالم الخارجي إلا ما كان يصلهم من صحف عربية تهرب كما تهرب السلع العزيزة في هذه الفترة الحرجة»[7].

إذا كان استعمار الشعوب واستباحة ثرواتها وخيراتها جريمة تاريخية لا تغتفر، فإن حرمان هذه الشعوب من الحق في التعبير عن عذاباتها وتطلعاتها يعد جريمة في حق الإنسانية جمعاء لأن القضاء على الصوت الإنساني يعد اغتيالا مسبقا لهذا الإنسان ولذلك نلاحظ سعي الإدارة الاستعمارية إلى استخدام أسلوب المناورة بخصوص السماح للأهالي بإصدار الصحف بعد نهاية الحرب العالمية الأولى حيث فتح قانون 04 فيفري 1919 نافذة صغيرة أطلت من خلالها بعض الصحف العربية الجزائرية تحت مراقبة بوليسية استعمارية مشددة كان من نتائجها أن أي جريدة أو صحيفة تتجاوز الخطوط الحمراء بالتطاول على السياسة الاستعمارية

يكون مصيرها التعليق والمنع والمصادرة وهكذا شقت الصحافة العربية الجزائرية طريقها في دروب وعرة وشائكة حيث صدرت جريدة "النجاح" لعبد الحفيظ بن الهاشمي سنة 1919 وجريدة "الإقدام" للأمير خالد سنة 1920 وجريدة "الصديق" لمحمد بن بكير التاجر سنة 1920، يقول. "ناصر محمد" عن هذه الصحف: «وأخذت هذه الصحف الوطنية تنشر مقالات سياسية واجتماعية ودينية تختلف لهجاتها باختلاف كتابها حرارة وحماسا، ولكن ما لبثت "الصديق" و"الإقدام" أن سقطتا ضحية وطنيتهما رغم قانون 1919 ورغم وعود فرنسا الكاذبة بإعطاء الأهالي حرية في النشر أكثر... واستمرت "النجاح" في سيرها يرعاها تملقها للاستعمار ويشفع فيها تعلقها بموكبه»[8].

2/ النوادي والصحف العربية بقسنطينة:

في كتابه: «أصوات من الأدب الجزائري الحديث» يخص "حمادي عبد الله" تاريخ قسنطينة ببحث متميز موسوم بعنوان: «قسنطينة في ذاكرة النصوص التراثية»[9] أبرز فيه أصالة مدينة قسنطينة وتجذرها التاريخي والحضاري، فهي مدينة عريقة ضاربة في أعماق التاريخ وهي مسيرة حافلة بالبطولات والأمجاد وهي ملامح شكلت إنسانها بخصوصيات وبصمات وهي خلابة بسحرها الطبيعي وهي غنية بالشخصيات الثقافية الفذة.

كل هذا سما بها وجعلها كما يقول "حمادي عبد الله": «وقسنطينة كمدينة عريقة لها طقوسها شأنها في ذلك شأن المدن الأسطورية، كطروادة وطيبة وغرناطة»[10]. وإن مدينة بهذه

الدلالات الثقافية والحضارية لا بد أن يكون لها دور مركزي في النهضة الجزائرية خاصة وأنها تمتلك الكثير من الرموز والشخصيات[11] والأعلام في شتى مجالات الفكر والثقافة، شكلوا رصيدها الإنساني وحضورها في التاريخ الجزائري الحديث. والأكيد أن احتكاك المثقفين بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم وتفاعلهم فيما بينهم من خلال ما يمدونه من جسور الحوار وتبادل الأفكار والآراء يؤدي حتما إلى توهج المشهد الثقافي وتعميق الوعي بتجليات الحياة وفي ذلك يقول "سيف الإسلام الزبير": «برزت بذور النهضة وأفكار التجديد في الجزائر أول ما برزت بإنشاء النوادي التي سبق نشوؤها بكثير نشوء الصحافة العربية، وأن النوادي التي أنشئت في العاصمة وفي قسنطينة ابتداء من عام 1893 كانت الحقل أو الأرضية التي نبتت فوقها فكرة إنشاء صحافة جزائرية عربية، لأن هذه النوادي كانت تكون أماكن اللقاء لجميع المثقفين، من جماعة النخبة أو المحافظين، الأمر الذي مكنهم من تبادل الآراء في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية وذلك بإلقاء المحاضرات وقراءة الصحف العربية الشرقية والكتب الجديدة وتناقل الأخبار»[12].

إن التقاء المثقفين وانتظامهم داخل جمعيات ونوادٍ من شأنه تفعيل الحياة الثقافية والتفكير في إيجاد البدائل والأساليب والوسائل للنهوض بالأمة من مختلف المجالات، ومن هنا ارتبطت فكرة إنشاء الصحف بتأسيس النوادي حيث شهدت قسنطينة في بداية القرن التاسع عشر ميلاد عدة نوادٍ كان لها تأثير عميق في إنشاء الصحف ودور بارز في نهضة الجزائر.

أ/ النـوادي:

1- نـادي صـالح بـاي:

تأسس هـذا النـادي الثقـافي والاجتمـاعي بقسـنطينة سـنة 1908 مقره في نهج عبد الله باي رقم 10 قسنطينة وكان يضم العديد من الشيوخ المثقفين أمثال الشيخ الزواوي بن المعطي إضافة إلى كثير من الموظفين من مسلمي الجزائر حيث أصدرت الهيئة المؤسسة لهذا النـادي وثيقـة تضـمنت مقاصـده[13] وأهدافـه ومـن بينهـا مناقشـة القضـايا الأدبيـة والفنيـة ونشـر العلـوم بـين أفـراد الأمـة الإسـلامية وكـذلك تنظـيم مسـامرات علميـة وأدبيـة فنيـة ودروس عموميـة وصناعية، ويذكر "حمادي عبد الله" في سياق حديثه عن العلامة الشـيخ المولـود بـن الموهـوب مفـتي قسـنطينة: «ويعـود لـه الفضـل في إنشاء «نـادي صـالح بـاي» الثقـافي»[14] ويجمـع المؤرخون والبـاحثون على الدور الفعال الـذي قام بـه نـادي صـالح بـاي في تشـكيل النـواة الأولى للإصـلاح والـدعوة إلى الأخـذ بأسـباب النهضـة لأنـه يضـم النخبة المتنورة والـتي كـان لهـا دور كبير في غرس الـوعي وتعميقه فإننا إذا ما تتبعنـا تطور الفكـر السياسـي الجزائـري نجد لأعضـاء نـادي صـالح بـاي نشـاطا وحضـورا في تشـكيل توجهـات جماعـة النخبـة والـتي قـدمت وثيقـة مطلبيـة للحكومـة الفرنسية سـنة 1912 لفتـت فيهـا انتبـاه الإدارة الفرنسـية إلى حقـوق الأهـالي في مقابـل التجنيد الذي فرضته على الجزائريين، وإذا ما تتبعنا تطور حركة إنشـاء الصحف العربيـة في الجزائـر، سنلاحظ حضـورا قويـا لمدينـة قسنطينة كفضاء احتضن الكثير من الصحف والمنابر الإعلامية،

إذ يؤكد "سيف الإسلام الزبير" «أولئك هم جماعة النخبة الذين كان تأثيرهم كبيرا على نشوء وظهور الصحف العربية التي كان نشوؤها بمثابة رد فعل لمطالبهم ونشاطاتهم»[15].

2- نادي السعادة:

تأسس نادي السعادة سنة 1925، ولقد أخذ تسميته من اسم مقهى «السعادة» بقسنطينة والتي احتضنت جلسته التأسيسية الأولى قبل أن يتخذ مقره في نهج حملاوي بالقرب من «رحبة الجمال»، كان يضم بين أعضائه نخبة من المتنورين أصحاب الشهادات العالية من علماء وأدباء وكبار الوطنيين، وقبل انتخاب مكتبه ألقى الشيخ عبد الحميد بن باديس كلمة ذكر فيها الحاضرين بأهمية النوادي والجمعيات شافعا المقال بحسن المثال وبعد إجراء الانتخابات تولى رئاسة هذا النادي «محمد زرقين» وهو طبيب أسنان مشهور بقسنطينة، أما نائبه فهو «بن حبيلص بلقاسم» في حين عاد منصب الكاتب للغة العربية للصحفي «مامي إسماعيل »وهو رئيس قلم التحرير لجريدة «النجاح»، ولقد اغتبط المثقفون بتأسيس نادي السعادة واستبشروا به خيرا، وفي معرض حديثه عن هذا النادي يورد: "الصيد سليمان"[16] مقطعا من قصيدة لشاعر الجزائر الأستاذ المرحوم محمد اللقاني بن السائح يمجد فيها نادي السعادة فيقول:

وقوفا يا بني وطني وقوفا	على ساق العزيمة مسرعينا
نحي نخبة نهضوا وأضحوا	(على نادي السعادة) عاكفينا
تعالوا ننصرن فئة أرادت	لنا العلياء والشرف المكينا
بهم نرقى إلى شرف ونسموا	على هام السهى مترعينا
شباب قنع لا عيب فيهم	سوى الإخلاص فوق المخلصينا

ورغم أن هذا النادي تبنى العمل الثقافي والاجتماعي وأبعد النشاط السياسي من أهدافه إلا أن الإدارة الفرنسية لم تطمئن إلى اجتماع المثقفين والأدباء من أبناء الجزائر والانتظام في هذا النادي فجعلت الأيدي تعمل ضده فكانت سببا في إيقافه وتشتيت جمعه.

3- نادي الاتحاد:

كانت الاستجابة لتأسيس هذا النادي بناء على مقالة كتبها الأديب «إبن سليمان محمد المرتضى» ونشرها في مجلة الشهاب القسنطينية عدد 10 لسنة 1930 يدعو فيها إلى فكرة تأسيس نادٍ بقسنطينة، فاجتمع المثقفون بمختلف تخصصاتهم وبادروا إلى تأسيس نادي الاتحاد يوم: 1932/07/16 ومن الأعضاء الذين شكلوا مكتبه التنفيذي نذكر الحكيم بن جلول رئيسا – الحكيم محمد زرقين وبن حمادي محمد الصالح نائبين للرئيس، وقد اتخذ هذا النادي مقره في البداية بأعلى مقهى النجوم مشرفا على بطحاء باب الوادي، قبل أن ينقل إلى محل أرضي واسع يقع في نهاية نهج العربي بن مهيدي عند بدء جسر «باب القنطرة» بقسنطينة، ويذكر "الصيد سليمان"[17] أن مثقفين بارزين ألقوا خطبا هامة في احتفالية تدشين هذا النادي يوم 1932/07/16 منهم «محمد الصالح بن جلول» الذي أبرز بعض أهداف النادي ومنها بث روح الثقافة بواسطة الخطب والمحاضرات، كما تحدث الشيخ عبد الحميد بن باديس عن دور الجزائر الإسلامية ورجالها، وطلب الشيخ مبارك الميلي في كلمته من أبناء الجزائر أن يسعوا في ترقيتها في دائرة دينها ولغتها وجنسيتها ومميزاتها، وبدوره أبرز

الشيخ العربي التبسي أهمية الثبات على المبدأ، كما ألقى شاعر سيرتا «محمد بولبينة» قصيدة مما جاء فيها:

أكرم بذا البيت أكرم بالألى عملوا ل -لاتحاد- بل أكرم بنادينا

أكرم بمن وقفوا للنفع سعيهم سعي جميل به نجني أمانينا

وفي سجل هذا النادي نجد نشاطات جمة صنعت المجد الثقافي لمدينة قسنطينة والجزائر ككل فقد شهد المحاضرات والندوات وزاره المثقفون من داخل الجزائر وخارجها مثل المغرب. يقول "الصيد سليمان": «وهكذا فإن نادي الاتحاد بقسنطينة كان بحق منبرا للأفكار النيرة، ومركزا للاجتماع بين رجال الفكر والعلم والأدب والفن والسياسة»(18). هذا بالإضافة إلى أن مقر نادي الاتحاد قد احتضن نشاطات كثير من الجمعيات الفنية مثل جمعية محبي الفن القسنطينية، كما اجتمع فيه أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة هذا إضافة إلى أنه قد احتضن اجتماع لم الشمل بعد فتنة وقعت بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجمعية النواب. ففضل هذا النادي واسع وشامل لمختلف مجالات الحياة.

4- نادي عبد الحميد بن باديس:

بدأت فكرة تأسيس هذا النادي سنة 1945، غير أن تأسيسه الفعلي وتدشينه تم بمقره الكائن بنهج كليمانصو رقم 15 قبالة الجامع الكبير وذلك يوم 1947/04/27 بحضور وفود كثيرة من أعضاء جمعية العلماء ونخبة كبيرة من المجتمع القسنطيني في حفل بهيج توسطه العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي وفي هذا الحفل

ألقى فرحات عباس مؤسس حزب البيان خطابا ذكر فيه بحالة الجزائر ونوه بمجهودات ابن باديس وأشار إلى أن هذا النادي سيكون مركزا لسائر الحركات والأحزاب العاملة على اختلاف مشاربها لمصلحة البلاد ولقد تشكل مكتب نادي ابن باديس من عدة أعضاء نذكر منهم: عبد الحميد درويش رئيسا والحاج حموش كرماني نائبا له وتكفل محمد المنصوري الغسيري بمنصب كاتب بالعربية.

هذه صورة مختصرة عن أبرز النوادي التي احتضنتها مدينة قسنطينة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهي النوادي التي أسهمت بشكل كبير في ظهور صحافة عربية جزائرية تأسست ونشأت في مدينة قسنطينة.

ب/ الصحف:

يذكر "سيف الإسلام الزبير"[19] أن أول جريدة ظهرت بقسنطينة هي جريدة «حقوق الإنسان Droits de L'homme» سنة 1871، ذات الاتجاه الجمهوري ويكشف هذا التاريخ المبكر قدم تعرف أهل قسنطينة على الصحافة كوسيلة إعلامية جديدة جلبها الاستعمار الفرنسي معه للجزائر، ورغم أن جريدة «حقوق الإنسان» هذه كانت فرنسية إلا أنها سرعان ما توقفت بسبب اعتداء جنود على صاحبها على إثر نشره مقالا ينتقد فيه أحد الضباط نقله عن الصحف الفرنسية الصادرة في فرنسا، فاستخلفتها جريدة "الراديكالي Le Radical" عام 1871 ذات التوجه الجمهوري حيث رفعت شعارات: «الحرية، والمساواة، والأخوة والتضامن» وكانت

تصدر بقسنطينة ثلاث مرات في الأسبوع وتضم في هيئة تحريرها صحفيا جريئا يدعى «شالايي» استطاع بشجاعته الفذة وقلمه السيال أن يفضح ظلم الوالي العامل بعمالة قسنطينة وأن يكسب قضيته ضده في المحكمة، وبعد توقفها ظهرت جريدة: «تقدم الشرق Le Progres De L'est » في 29 ديسمبر عام 1875 التي تأسست لأغراض انتخابية، لكن رئيس تحريرها الصحفي الكبير السيد: «دوفونفيال DeFonvielle» حاول إنشاء ملحق عربي لجريدته ورغم أنه تمكن من إقناع المساهمين بجدية هذا المشروع إلا أن مشروعه تعرض لرفض الحاكم العام الجنرال «شانزي» فماتت المحاولة في المهد، قبل أن يتمكن ضابط فرنسي مستعرب من إنشاء جريدة مزدوجة اللغة عام 1880 بعنوان «كوكب المشرق L'Aotre d'orient» وكانت تضم في هيئة تحريرها صحفيين عربا وفرنسيين تصدر كل يوم خميس وتطبع في وجهين واحد بالفرنسية والآخر بالعربية لكن هذه الجريدة لم تستمر في الصدور وتوقفت سنة 1883. ولكن قبل توقفها بسنة كانت قد صدرت جريدة «المنتخب» وهي أسبوعية فرنسية عربية تأسست في 23 أفريل عام 1882 بقسنطينة من طرف مجموعة من الأعيان الجزائريين الاندماجيين بمدينة قسنطينة، وعن هذه الجريدة يؤكد "سيف الإسلام الزبير": «وتعتبر هذه الجريدة (المنتخب) أول جريدة أنشئت من طرف مجموعة من الجزائريين أنفسهم بعد أن تبين لهم أن قوة الصحافة ونفوذها في الرأي العام والمجتمع لا تقدر بثمن»[20] وبعد تسعة أشهر من صدورها توقفت في 21 جانفي 1883 لكن هذه التجربة أسست لميلاد صحافة عربية جزائرية انطلاقا من مدينة قسنطينة، وبدأنا نلاحظ محاولات أخرى لتأسيس صحف مزدوجة

اللغة، حيث أخذ الحرف العربي مكانه في عالم الصحافة منافسا للحرف الفرنسي حيث صدرت ثلاث جرائد أخرى بعد توقيف «المنتخب»، مزدوجة اللغة (عربية – فرنسية) وهي حسب ترتيبها الزمني:

1- جريدة المبصر: قسنطينة .1883

2- جريدة المسلم: قسنطينة 1909.

3- جريدة المبصر الإفريقي: قسنطينة سنة 1931، كان يرأس تحرير قسمها العربي: الأديب الشاعر «خبشاش محمد الصالح» وقسمها الفرنسي «شندرلي».

أما بالنسبة للصحف التي صدرت في قسنطينة باللغة العربية فقط، فتتصدرها تاريخيا جريدة «النجاح» موضوع بحثنا هذا، حيث صدرت في شهر أوت سنة 1919، كانت لها مطبعة خاصة بها ومكتبة تابعة لها وهي تعد بذلك أول صحيفة عربية في تاريخ الجزائر والمغرب العربي فاتحة بذلك المجال فيما بعد لميلاد الكثير من الصحف العربية في الجزائر وقسنطينة، حيث يذكر "الصيد سليمان"[21] الصحف التي صدرت باللغة العربية فقط في قسنطينة بعد صدور جريدة النجاح كما يلي:

1- **جريدة المنتقد:** صدرت بقسنطينة في 1925/07/02، مؤسسها ابن باديس تحت اسم وإدارة أحمد بوشمال، هي جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شعارها: «الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء»، تصدر صبيحة الخميس من كل أسبوع ونظرا لتوجهها الإصلاحي ودفاعها عن العروبة والإسلام فقد عطلتها السلطات الاستعمارية بعد أن صدر منها 18 عددا فقط.

2- **جريدة الشهاب:** صدرت بقسنطينة في 1925/11/12، وهي مثل «المنتقد» من حيث المؤسس والإدارة والشعار، كانت تصدر كجريدة أسبوعية إلى سنة 1929 حيث منذ 29 فيفري من هذه السنة تحولت إلى مجلة شهرية إلى غاية سبتمبر من عام 1939 حيث تعطلت بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية، تقول عنها "عبد الرحمن عواطف": «وهي [الشهاب] تعتبر الصحيفة الرسمية للمدرسة الإصلاحية في الجزائر التي كان يتزعمها الشيخ عبد الحميد بن باديس»[22].

3- **جريدة البرق:** صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية فكاهية صدرت بقسنطينة في 1927/03/07، تبرز يوم الاثنين من كل أسبوع تحت شعار "خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال" لمديرها وصاحب امتيازها: «رحموني محمد عبد المجيد» وهي ذات توجه إصلاحي فاحتضنت الكثير من الأقلام الإصلاحية.

4- **جريدة السنة النبوية:** صدرت بقسنطينة في 1933/03/01 تحت شعار «ولكم في رسول الله أسوة حسنة، من رغب عن سنتي فليس مني»، هذه الجريدة هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد صدرت تحت إشراف رئيس الجمعية «ابن باديس» وكان يرأس تحريرها الأستاذان: الشيخ الطيب العقبي والشيخ محمد السعيد الزاهري، أما صاحب الامتياز فهو أحمد بوشمال. صدر من هذه الجريدة 13 عددا ثم توقفت بأمر من وزير الداخلية الفرنسي.

5- **جريدة الجحيم:** هي جريدة حرة مستقلة تدافع عن الشرف والفضيلة، صدرت بقسنطينة في 1933/03/30 ولأنها كانت تطبع بطريقة سرية في أوراق حمراء فقد جعلت عنوانها بالجزائر العاصمة، صاحب امتيازها السيد «جوكلاري محمد الشريف» شعارها: "العصا لمن عصى"، واستطاعت هذه الجريدة الرد على جريدة المعيار البذيئة.

6- **جريدة الشريعة النبوية المحمدية:** لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصدرتها الجمعية تحت إشراف رئيسها بقسنطينة في 1933/07/17، صاحب الامتياز أحمد بوشمال ورئيسا التحرير: العقبي والزاهري، شعارها على اليمين: «ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها»- (قرآن كريم)، وعلى اليسار: «من رغب عن سنتي فليس مني»- (حديث شريف)، صدر منها 07 سبعة أعداد فقط قبل أن يعطلها الاستعمار الفرنسي.

7- **جريدة الصراط السوي ومن اهتدى:** لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي مثل جريدة الشريعة من حيث الإشراف والإدارة ورئاسة التحرير وكذلك الشعار غير أن أعلى عنوان الجريدة قد صدر بهذه الآية الكريمة: «قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي» صدرت بقسنطينة في: 1939/09/11، وهي أسبوعية تصدر كل يوم إثنين غير أنها عطلت بقرار من وزير الداخلية الفرنسي بعدما صدر منها 17 عددا.

8- **جريدة أبو العجائب:** وهي نشرة فكاهية نقدية تهذيبية، صدرت بقسنطينة في 1934/05/24، مديرها أحمد بوشمال

ورئيس تحريرها محمد العابد الجلالي وهي أسبوعية تصدر كل يوم خميس، توقفت بعد صدور 10 أعداد فقط.

9- **جريدة الميدان:** صدر العدد الأول منها بقسنطينة في 1937/06/27، وهي جريدة اجتماعية سياسية جزائرية، لسان حال الدكتور محمد الصالح بن جلول، تدافع عنه وتؤيد جمعية النواب المسلمين، كانت تبرز كل يوم أحد تحت إدارة وتحرير «حسن الوارزقي» أما صاحب الامتياز فهو الحاج الطيب بن حملة. وبعد صدور 28 عددا منها توقفت في شهر فيفري 1938 بقرار من الإدارة الفرنسية.

10- **جريدة البصائر:** يقول عنها: "الصيد سليمان": «جريدة البصائر بدأت بالصدور في مدينة قسنطينة ابتداء من العدد 84 وذلك يوم الجمعة 1937/10/29، جاء فوق عنوانها الآية الكريمة: «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ»..... تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع، المدير المسؤول ورئيس التحرير: مبارك بن محمد الميلي، صاحب الامتياز الشيخ محمد خير الدين. توقفت في 1939/08/25»[23] وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عادت جريدة البصائر للظهور حيث تذكر "عبد الرحمن عواطف": «وقد عادت للظهور عام 1947، وتوقفت نهائيا عام 1956، وهي الصحيفة الرسمية لجمعية العلماء وقد حلت هذه الصحيفة محل صحف عديدة كانت جمعية العلماء قد أصدرتها وأوقفتها السلطات الفرنسية»[24]. ونشير إلى أن جريدة البصائر كانت قد بدأت بالصدور أول مرة في الجزائر العاصمة عام 1936.

11- **جريدة الشعلة للكفاح والانتقاد:** صدر العدد الأول منها بمدينة قسنطينة في 1949/12/15 تحت إدارة أحمد بوشمال، ويشرف على التحرير أحمد رضا حوحو، أما صاحب الامتياز فهو الصادق حماني، كانت تصدر كل يوم خميس، العدد 54 مؤرخ في 1951/02/08.

ومن خلال هذا التلخيص الموجز لتاريخ الصحافة بمدينة قسنطينة نكتشف أن لهذه المدينة باعا طويلا في تأسيس الصحف واحتضانها، فقد تفاعلت شروط الفعل الثقافي على أرضها حيث انتعشت بالمثقفين فتأسست النوادي والجمعيات وظهرت المطابع والمكتبات وصدرت الصحف والمجلات، وكل ذلك رسخ حضور قسنطينة ودورها الرائد في النهضة الجزائرية الحديثة.

3/ نشأة جريدة النجاح:

في كتابه: «صراع بين السنة والبدعة» يشرح الشيخ "حماني أحمد" تفاصيل صدور جريدة النجاح فيقول: «أما جريدة "النجاح" فإنها من أوائل الجرائد العربية بروزا إثر الحرب العالمية الأولى. أسست عام 1337 هـ (1919م) بمدينة قسنطينة، وكانت أول أمرها مشروعا وطنيا يشمل مطبعة عربية، ومكتبة وجريدة عربيتين. والمؤسس هو السيد عبد الحفيظ بن الهاشمي من آل زاوية (سيدي علي بن عمر) بطولقة، الرحمانية وقد ولد عام 1310 هـ 1895م وبعد حفظه القرآن هاجر إلى تونس ثم رجع بشهادة التطويع (العالمية) ولما أسس جريدته أسند رئاسة تحريرها

إلى السيد إسماعيل مامي -يعرف أيضا بابن عبدي- من عائلة شهيرة من مدينة قسنطينة، وكانت النجاح أول أمرها مؤسسة وطنية استبشر بها العلماء والأدباء والمفكرون وشاركوا في تحريرها وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، كان يكتب فيها باسمه الصريح أو بإمضاء مستعار "العبسي"[25].

إن معظم الكتب والدراسات التي تناولت بالبحث موضوع الصحافة العربية في الجزائر قد أهملت دراسة جريدة "النجاح" لأن هذه الدراسات اهتمت أكثر بالصحف الوطنية والإصلاحية واعتبرت جريدة النجاح منبرا إعلاميا مواليا للإدارة الفرنسية ومن بين ما استخلصناه في تعريف هذه الجريدة أنها جريدة يومية إخبارية وطنية حرة صدرت بالعربية في قسنطينة منذ سنة 1919 إلى سنة 1956م، تقول عنها "عبد الرحمن عواطف" «النجاح كانت تصدر في قسنطينة 1919 – 1939 وتوقفت ثم ظهرت مرة أخرى سنة 1945 وكانت جريدة أسبوعية ثم أصبحت يومية ابتداء من سنة 1930... وتعتبر من ناحية الفن الصحفي صحيفة شبه كاملة، تضم الأخبار والمقالات السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية والعلمية ويعتبرها المثقفون الجزائريون أحد الإنجازات الهامة التي حققتها الصحافة العربية في بلادهم»[26].

أما "الصيد سليمان" فإنه يحدد الملامح التاريخية لجريدة النجاح بقوله: «صدرت بمدينة قسنطينة في شهر أوت في سنة 1919. كانت لها مطبعة خاصة بها. ومكتبة تابعة لها. أسسها الشيخ عبد الحفيظ

بـن الهـاشمي. هـذه الجريـدة في أول أمرهـا كانـت مسـتقلة تعـتني بشـؤون الثقــافة والأدب وغـير ذلـك. وبمـرور الـزمن تغيرت وصـارت تتكلم عن الموظفين ورجال الطرق والقياد والباشاغوات والحكام وغـير ذلـك. انضـم إليهـا الشـيخ مـامي إسماعيـل وطـال أمـدها في الصدور بقسنطينة إلى أن توقفت زمن الثورة سنة 1956»[27].

ولقد عدنا إلى أرشيف جريدة النجاح[28] وتأكدنا من صحة هـذه المعلومات التاريخية.

الفصل الثاني:

التعريف بجريدة النجاح

1- صدور جريدة النجـاح.

2- مؤسسها وهيئة تحـريرها.

3- مواردها ومصادر دعمها.

4- محتواها العام وإخراجها.

1- صدور جريدة النجاح:

لقد صدرت جريدة النجاح في ظروف تاريخية دقيقة، صادر فيها الاستعمار الفرنسي حق الجزائريين في التعبير والنشر، فكان تأسيس هذه الجريدة بمثابة الحلم الوردي الذي انتظره الأهالي كثيرا، واشتاقوا إلى رؤيته مجسدا بين أيديهم، ما جعل المثقفين والمتعلمين منهم يسارعون إلى احتضان هذه الجريدة وتدعيمها والمساهمة فيها بمختلف الأشكال، فمن كان يكتب سارع إلى تحبير المقالات ونظم الأشعار ونشر الأخبار، ومن كان يقرأ سارع إلى اقتنائها ومطالعة ما تنشره بمحبة في زمن عز فيه الحرف العربي وحوربت لغة الضاد.

وهكذا بدل الناس ما يملكون من دعم مادي ومعنوي في سبيل إنجاح هذه الجريدة الغراء التي أطلت قمرا مكتملا مضيئا في ليل بهيم كما يقال.

وعن صدور جريدة النجاح يعلق "ناصر محمد" فيقول:

«تعد النجاح التي أصدرها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي بمدينة قسنطينة في سنة 1919 أول محاولة لظهور صحافة عربية بعد الحرب العالمية الأولى. وكان الشيخ عبد الحميد ابن باديس مساعدا في تأسيسها، مشاركا في تحرير مقالاتها في أول العهد بها ولكنه ما لبث أن تخلى عنها لخلاف حول نهجها الإصلاحي فيما يبدو. ظهرت أسبوعية في أول أمرها، تقاوم عوامل السقوط للعوز المادي، فكانت كثيرة الاحتجاب، ثم انضم إليها مامي

وهذا يعني أن جريدة النجاح في بداياتها الأولى كانت أسبوعية لكنها مع مرور الشهور والسنوات بدأت ترسخ أقدامها في واجهة الصحافة العربية في ذلك الوقت، هذا ما يذهب إليه "مرتاض عبد الملك" في تحليله لديمومة صدور جريدة النجاح إذ يقول: «وقد كانت أول أمرها أسبوعية ثم نصف أسبوعية ثم يومية، وظلت تصدر إلى ما بعد قيام ثورة التحرير الجزائرية»[31] ومن حيث التجربة فهي إذن أطول الصحف الجزائرية عمرا واستمرارا تجاوزت أعدادها الآلاف فهي تشكل بحق تراثا ضخما يحتاج إلى دراسة موضوعية بعيدا عن الأحكام المسبقة والتصنيف السياسي.

2- مؤسسها وهيئة تحريرها:

إن مؤسس جريدة النجاح هو: عبد الحفيظ بن الهاشمي بن علي بن عمر. ففي كل أعداد أرشيف "النجاح" نقرأ في أعلى صدر الصفحة الأولى وفي الجانب الأيمن من عنوانها المكتوب بخط كبير جميل وجذاب نقرأ هذه العبارة بالعربية وتحتها ترجمة بالفرنسية: «مدير الجريدة وصاحب امتيازها: عبد الحفيظ بن الهاشمي – رئيس قلم التحرير: مامي إسماعيل»[32]. ويقدم "ناصر محمد" ترجمة موجزة لحياة ابن الهاشمي فيقول: «عبد الحفيظ بن الهاشمي بن علي بن عمر (1895) ولد بمدينة طولقة. في أحضان أسرة تنتمي إلى العلم، وجده علي بن عمر كان شيخا للزاوية المشهورة بطولقة، درس في بداية أمره بالزاوية ثم سافر إلى تونس حوالي 1911م وعاد في نهاية 1919م، من أبرز أعماله تأسيس جريدة النجاح بمدينة قسنطينة في 1919م دورية، ثم يومية بداية من سنة 1930م، له بجانب كتاباته الصحفية الكثيرة شعر أيضا، تقلب في عدة مناصب قضائية وتعليمية»[33].

لقد أشرف عبد الحفيظ بن الهاشمي على إدارة شؤون جريدته: النجاح وكان يكتب فيها مقالات افتتاحية[34] كثيرة في مواضيع مختلفة وهذا منذ أن أسسها وأصدرها إلى أن توقفت نهائيا سنة 1956، حيث يصور الشيخ حماني المرحلة الأخيرة من مسيرة حياته فيقول: «أما الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي فقد قبل وظيف الإفتاء وتولاه في عنابة ثم في قسنطينة، ولما جاء عهد الاستقلال التحق بسلك التعليم الثانوي وعاش إلى أن وافاه الأجل المحتوم -بعد أن تجاوز الثمانين- في رجب 1393 هـ - أوت 1973م، مات بقسنطينة ودفن بطولقة رحم الله الجميع»[35].

ونستنتج مما تقدم أن مؤسس جريدة النجاح: عبد الحفيظ بن الهاشمي شخصية مثقفة تجمع بين التدين والانتماء الروحي للزاوية الرحمانية بطولقة ولاية بسكرة كما له ثقافة لغوية وأدبية تتجلى من المستوى الجيد لكتاباته سواء المقالات الافتتاحية أو القصائد الشعرية إضافة إلى ما كان يتمتع به من وعي سياسي واجتماعي سنعود إلى تحليله في سياق معالجتنا لتوجهات جريدة النجاح ودورها وعلاقتها بالتيار الإصلاحي.

وإذا كان وجود أي جريدة يجسدها مؤسسها وصاحب امتيازها فإن خطها الافتتاحي وهويتها تتجسد من خلال شخصية رئيس هيئة التحرير، حيث أسند عبد الحفيظ بن الهاشمي مهمة رئاسة تحرير جريدة النجاح إلى مامي إسماعيل وهو شخصية براغماتية، يعرفه "نويهض عادل" فيقول: «مامي إسماعيل 1889 – 1956 متأدب له اشتغال بالصحافة، من أهل قسنطينة، درس بها وبتونس. ولكنه لم يتم تعلمه وانصرف إلى الصحافة مساعدا لمدير جريدة

النجـاح عبـد الحفـيظ بـن الهـاشمي»[36]، لقـد مـر بنـا أن مـامي إسماعيل كان قد اشتغل من قبل في صحيفة المبشـر التابعـة لـلإدارة الاسـتعمارية ولـذلك فهـو يعـد مـن الكـوادر المتمكنـة مـن مهنـة الصـحافة، الـتي أضـفت علـى طـاقم جريـدة النجـاح نوعـا مـن الاحترافية يشير إليها "ناصر محمد" في تعريفه بمامي إسماعيل إذ يقـول: «وأظهـر نجاحـا بـاهرا لمـا يتجلـى بـه مـن مرونـة ودهـاء، ولم يكن له اتجاه معين غير النزعة الانتفاعيـة الماديـة مـات بـداء الصـرع حوالي 1956م»[37].

إن الدارس لأرشيف جريدة النجاح يكتشـف أن الاسمـين الثابتين دوما في هيئة تحريرهـا همـا: الأول عبـد الحفيظ بـن الهـاشمي مـدير الجريـدة وصـاحب امتيازهـا، والثـاني مـامي إسماعيـل رئـيس قلـم التحرير، عدا ذلك فإن الأسماء الحقيقية والمستعارة تـأتي وتختفـي حسـب السـنوات والظـروف والتوجهـات وهـكـذا وجـدنا مـن الأقـلام الـتي سـجلت حضـورها في هيئـة تحريـر هـذه الجريـدة إضـافة إلى الشيخ عبـد الحميـد بـن بـاديس[38] الـذي كـان مـن مؤسسـيها كـلا من توفيق المدني[39] وشكيب أرسلان[40] والشـاعر محمـد الصـالح خبشـاش الذي كثيرا ما يوقع مقالاتـه باسمـه ويوقـع قصـائده باسـم: «الـوطني الصـميم» ونظـرا لـكثـرة تـردد اسمـه في كـثير مـن أعـداد الجريدة يخيل للقارئ أنه شاعرها بامتيـاز إذ يعرفـه "نـويهض عـادل" فيقول: «محمد الصـالح خبشـاش 1904م – 1940م: شـاعر، كاتب صحفـي، ولـد في قـريـة وادي يعقـوب قـرب قسنطيـنة، لازم عبـد الحميد بن باديس ثماني سنوات وقرأ عليه... له مقالات كثيرة نشـرت في جريـدة "النجـاح" و"مجلـة الشـهاب" ويعـد مـن شـعراء

الحركة الإصلاحية الجزائرية»[41]. ويعلق الشاعر الأديب "السائحي محمد الأخضر عبد القادر" على انتماء «خبشاش» إلى هيئة تحرير جريدة النجاح فيقول: «لم يجد بدا من العمل في جريدة "النجاح" المشبوهة»[42]، وهكذا وجدنا في أرشيف جريدة النجاح أسماء كثيرة بعضها معروف مثل عبد الحفيظ الهاشمي وابن باديس والعربي التبسي وبعضها غير معروف وخاصة أسماء المراسلين الناقلين للأخبار المحلية أو الموقعين بأسماء مستعارة مثل اسم «الخبير» الذي وقع أغلب المواضيع الرئيسية لأعداد الجريدة سنة 1930 تحت ركن يومي بعنوان «السياسة العامة – لمراسل النجاح الخاص بباريس»[43].

3 – مواردها ومصادر دعمها:

إن أية صحيفة لابد أن تحتاج إلى موارد مالية، للتكفل بأجور موظفيها من صحفيين وتقنيين وعمال، ولتوفير وسائل الطباعة والنشر والتسويق، ومهما يكن سعر بيع الصحيفة فإن هذا السعر لا يمكنه تغطية مصاريفها المتعددة، فجريدة "النجاح"[44] في سنة 1938 مثلا كانت تباع بأربعين (40) سنتيما للنسخة الواحدة، وهو ثمن زهيد بالنظر إلى جودة إخراجها وتكاليف طباعتها وتسويقها أما أسعار الاشتراكات ففي شمال إفريقيا بمائة 100 فرنك للسنة وبستين 60 فرنكا لنصفها وفي الأقطار الأجنبية تباع بمائة وثلاثين 130 فرنكا للسنة وبسبعين فرنكا لنصفها. أما بالنسبة للإعلانات فإن الجريدة لم تضبط بشأنها أسعارا محددة وفضلت التكتم عليها لتكون محل اتفاق تفاوضي بين إدارة الجريدة وزبائنها، هذا ما هو مدون في أعلى صدر الصفحة الأولى

من الجريدة كما يلي: «الإعلانات يتخابر في شأنها مع قسم الإشهار بإدارة الجريدة»[45]. إنك تحس وأنت تتصفح أرشيف هذه الجريدة بوجود قوة سياسية تحميها وبوجود قوى مالية تغنيها بالموارد التي تجعل هيئة تحريرها في بحبوحة كبرى، بالإضافة إلى مورد مبيعات الجريدة حيث بلغ حجم سحبها إلى حوالي 5000 نسخة سنة 1930 كما رأينا. فإننا يمكن ذكر ثلاثة موارد أخرى هي:

1/ الصندوق الأسود:

وهو صندوق مالي أنشأه الاستعمار الفرنسي، ووضعه تحت تصرف معاونيه وأتباعه وسائر السائرين في دروب سياسته، يأخذون من هذا الصندوق ما يحتاجونه من أموال على شكل تشجيعات ورشاو وعمولات. هذه الحقيقة يؤكدها "حماني أحمد" وهو يشير متأسفا على سقوط فريق جريدة النجاح في حبائل الإدارة الفرنسية فيقول: «فسقطوا في حبائلها وقبلوا أن يتعاونوا معها وأن ينالوا حظهم من "الصندوق الأسود" في مقابل مقاومة الحركة الوطنية ومهاجمتها»[46].

2/ الاشتراكات:

إن جريدة "النجاح" حتى وإن كانت قد انحرفت عن الخط الإصلاحي بداية من الثلاثينات كما يؤكد ذلك أرشيفها إضافة إلى مختلف المراجع التي تناولتها فإنها مع ذلك تعبر عن رأي شريحة من الجزائريين رأت فيها منبرا يعكس قناعاتها وتوجهاتها، فكان لهذه الجريدة قراء ومحبون يقدمون مبالغ مالية معتبرة في مقابل

اشتراكهم الدائم في اقتنائها وقراءتها، فالشيخ "حماني أحمد" يميط اللثام عن هذه الحقيقة إذ يقول عن مصدر حياة جريدة النجاح: «وكانت تعيش على ما تقبضه من إعانة (الصندوق الأسود) واشتراكات (القياد) والبشغاوات، والقضاة، والأئمة الرسميين، ورؤساء الزوايا، والطرقيين، داخل الوطن وخارجه»[47].

إننا نجد لهذه الشريحة التي يذكرها "أحمد حماني" حضورا كبيرا في مختلف أعداد جريدة "النجاح"[48] حيث تقدم لنا أخبارهم وتنشر صورهم وكأنها فعلا لسان حال القياد والبشغاوات والأعيان والوجهاء كما تسميهم.

3/ الإشهار:

لقد عدنا إلى أرشيف جريدة النجاح ولاحظنا في مختلف الأعداد وجود مساحة للإعلانات والإشهار ففي سنة 1930 مثلا نلاحظ أن هذه الجريدة كانت تصدر في أربع صفحات، تخصص الصفحة الثانية[49] دائما للإشهار حول كثير من المصانع والصنائع والمهن والأعمال لملاك فرنسيين وجزائريين والحقيقة أن كثافة واتساع تلك المساحة الإشهارية تقنعك بوجود توجيه سياسي من الإدارة الفرنسية لدعم جريدة النجاح بالتعامل الإشهاري معها وربما يكون هذا من أبرز الدوافع التي جعلت إدارة الجريدة تتكتم على أسعار الإعلانات فجعلتها محل اتفاق تفاوضي بين المتعاملين وقسم الإشهار بإدارة الجريدة.

من خلال ما تقدم نستنتج تعدد الموارد المالية لجريدة النجاح الأمر الذي يفسر جودة طباعتها وديمومتها واستمرارها في الصدور لسنوات عديدة لأن مصادر دعمها قوية ومتعددة.

4- محتواها العام وإخراجها:

في تعريفه لجريدة النجاح بدلالة محتواها وإخراجها، يقول "ناصر محمد": «وتعد النجاح أطول الجرائد العربية الجزائرية عمرا، وأحسنها إخراجا، فهي متنوعة المادة تشتمل على الأخبار السياسية في الداخل والخارج فقد كانت مشتركة في الوكالة العالمية للأنباء "هافاس" كما تحتوي على المقالات المتنوعة دينا، واجتماعا، وثقافة إلى جانب الخواطر والقطع الشعرية»(50).

إنها كما تعلن عن هويتها وطابعها في صدر صفحتها الأولى تحت اسمها مباشرة: «النجاح - جريدة إخبارية حرة»(51). وما نستنتجه من هذا التوصيف أنها أولا ليست صحيفة رأي بل خبر حيث يفترض أن الخبر مقدس والتعليق حر، وأنها ثانيا مستقلة عن الأحزاب والتيارات والتنظيمات فهي حرة. تقول "عبد الرحمن عواطف" عن جريدة النجاح: «وتعتبر من ناحية الفن الصحفي صحيفة شبه كاملة، تضم الأخبار والمقالات السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية والعلمية ويعتبرها المثقفون الجزائريون أحد الإنجازات الهامة التي حققتها الصحافة العربية في بلادهم»(52).

لقد عدنا إلى أرشيف جريدة النجاح ولاحظنا أنها فعلا جريدة إخبارية على مستوى عال من المهنية والاحترافية، ويكون اشتراكها في الوكالة العالمية "هافاس" قد مكنها من تقديم مادة إخبارية شاملة عن مختلف دول العالم بوتيرة مواكبة للحدث في زمانه، كما يكون امتلاكها لشبكة من المراسلين الموزعين في أنحاء القطر الجزائري قد مكنها باستعمال الهاتف والبرقية

والبريد من تقديم صورة حية عن مختلف الحوادث الداخلية بتعبيرها، والملاحظ أن الجريدة إخبارية بالأساس ومعنى هذا أن حضور *المقالات المتنوعة والخواطر والأشعار يأتي في المرتبة الثانية* إذا ما قورن بحضور الأخبار، ولعل الجريدة تكتفي بنشر مقال واحد إضافة إلى قصيدة واحدة في أغلب الأعداد. ويمكن أن نعطي صورة عن محتوى الجريدة بتقديم العناوين التي تضمنها العدد الذي بين أيدينا والصادر بتاريخ 15 ماي 1930 تحت رقم 934. حيث كانت الجريدة تصدر في أربع صفحات من الحجم الكبير بستة أعمدة.

الصفحة الأولى:

- السياسة العامة لمراسل النجاح الخاص بباريس. الخبير: الاضطرابات في إسبانيا – عمودان.
- خطبة م - سان كارير مدير مدرسة الجزائر –عمودان– صورة طائرة يتدلى منها سلم.
- ثناء الشعب على عواطف رئيس الجمهورية الفرنسية م – دوميرق– بتوقيع عبد الحفيظ بن الهاشمي ومما ورد فيه: « نزل الرئيس عندنا فلم يبق فينا من لم يشارك في الاحتفال به والابتهاج بمقدمه» - نصف عمودين.
- التوحيد الأوروبي الاقتصادي – نصف عمودين.

الصفحة الثانية:

للإشهار وتضم سبعة عشر 17 إعلانا إشهاريا من بينها:

- الدكتور بارني – تبسة.
- حبوب فالس.

- أتاي عالم الخير.
- المعمل القديم الشهير لأنواع السلاح – صورة بندقية.
- الموبيلية العصرية: معمل بن طاطه.
- SHELL إلى أصحاب السيارات.
- صيدلية التجارة بالجزائر.
- أونيل الصحراء.
- الطاوس حنة رفيعة.

الصفحة الثالثة:

- تلغرافات النجاح الخصوصية.
    - القلاقل الهندية.
    - الأفغان.
    - فشل المفاوضة المصرية الإنجليزية.
    - حادث قرينة رئيس الولايات المتحدة.
    - الاحتفال بتأسيس شركة طيران.
    - الوزارة الفرنسوية.
    - الحركة الفلاحية.
- رسالة العاصمة – بعد سفر الرئيس.
    - مؤتمر التجارة.
    - معرض علمي: «خرائط مفصلة تبين تدريجيا كيف كان عمران البلاد عام 1830 وكيف وصل إلى حالته الحاضرة».
- في البليدة.
- المشاريع العمرانية في الحجاز –عن أم القرى– عمود ونصف.

- حوادث داخلية بعد سفر رئيس الجمهورية: تصريحات سمو الوالي العام للجزائريين: «إن الفرنسويين الجزائريين والفرنسويين الأهالي أبدوا إخلاصهم التام في أثناء هذا الاحتفال وأعلنوا أن قصدهم الاتفاق على الكد والراحة والسلم وأن رئيس الجمهورية شكر فضلهم على اعتنائهم بوطنهم العزيز وصرح لهم بأن أعمالهم القوية تكون حصنا منيعا لهيكل الدولة وهيكل الجمهورية».
- اكتشاف فكر شيوعي.
- اعتصام بوهران: «حول إضراب عمال العربات الكهربائية».
مغنية: سقوط إحدى خشبات الأسلاك الكهربائية على رأس أوروبي.
- أخبار منوعة: وزارة مكدونلد [بانجلترا] وموقفها السياسي الحاضر.

الصفحة الرابعة:

- تتمة وزارة مكدونلد.
- كلمات غاندي.
- معلومات طريفة عن مدينة نيويورك.
- وجدة – قارئ من مدينة وجدة المغربية يدعى المنور العزاوي يمتدح الجريدة.
- معسكر: حول مسألة البردة [قارئ من الطرقيين يدعى بومعزة المختار بن محمد، يحاجج حول موضوع جواز الذكر أمام الجنائز].
- إعلانات إشهارية:
  - صابون2.
  - حليب نيستلي2.
  - أتاي الضمة2.

- دفع إيهام: [حول نسب محي الدين باش تارزي من الجزائر بعائلة باش تارزي من قسنطينة].
- إعلان بتحجير – صادر عن محكمة السمندو.

هذه نظرة خاطفة عن المحتوى العام لجريدة النجاح[53] الموجودة بين أيدينا، وهو محتوى ثري بالأخبار والتعاليق والمادة الإشهارية، وقد قامت الجريدة بإخراج هذا المحتوى وتقديمه بكيفية جيدة تكاد تطاول الصحف المعاصرة ويمكن رصد مميزات إخراج الجريدة كما يلي:

1- تقسيم صفحة الجريدة إلى ستة أعمدة بارزة، وتوزيع المواضيع بكيفية منسقة مع استعمال العناوين الرئيسية والفرعية، بحيث أن القارئ لا تلتبس عليه المواضيع ولا تتداخل وبإمكانه من نظرة واحدة استخلاص المحتوى العام للصفحة واختيار الموضوع الذي يرغب في قراءته.

2- استعمال تقسيمات تخصصية واضحة للصفحات فالصفحة الأولى مثلا للافتتاحية والسياسة العامة وكل حدث رئيس يربط الجزائر بفرنسا مثل زيارة المسؤولين وتصريحاتهم، أما الصفحة الثانية فهي مخصصة للإعلانات الإشهارية بمربعات واضحة مشفوعة بالصور، وفي الصفحة الثالثة نجد الحوادث المحلية والعالمية، وقد نقرأ في هذه الصفحة الخواطر والقصائد الشعرية وأما الصفحة الرابعة فقد نجد فيها تكملة للمواضيع الرئيسة أو معلومات عامة أو رسائل قراء، ونسجل هنا ملاحظة هي أن توالي صفحات الجريدة أحيانا يكون من اليمين إلى اليسار كما تقرأ الجرائد العربية اليوم وأحيانا من اليسار إلى اليمين كما تقرأ

الجرائد المكتوبة بالفرنسية اليوم. كما نلاحظ عدم استقرار الجريدة على حجم واحد فهي في سنوات تصدر في أربع صفحات من الحجم الكبير كما هو الحال في الثلاثينيات وأحيانا تصدر في ورقة واحدة بصفحتين من الحجم المتوسط كما هو الشأن أثناء صدورها بعد الحرب العالمية الثانية وأحيانا أخرى تصدر في ورقة واحدة بصفحتين من الحجم الكبير كما نجد ذلك في الخمسينيات.

3- استعمال أركان قارة يألفها القارئ ويهتدي إليها بسهولة ومن تلك الأركان نذكر:

- السياسة العامة.
- أخبار منوعة.
- حوادث داخلية.
- الإعلانات.
- تلغرافات النجاح الخصوصية.

4- الطباعة الجيدة مع استعمال العناوين المشفوعة بالصور الحية من قلب الحدث والمعبرة عن المغزى والهدف من الرسالة الإعلامية ويلاحظ أن نوعية الورق جيدة.

5- استعمال لغة صحفية مناسبة، فالأخبار تأتي بأساليب بسيطة واضحة ومباشرة غير أن لغتها خالية من الركاكة والإسفاف وبعيدة عن الإيجاز المخل والإطناب الممل، غير أن تقديم الخبر لا يخلو من توجيه سياسي في اتجاه ربط الجزائر بفرنسا وترسيخ فكرة الإدماج فلا نجد في تلك الأخبار ما يسيء لفرنسا ولا ما ينعتها بأنها استعمار غاشم وفي العموم فإن نشر الأخبار لا

يذيل باسم كاتبه أو المرسل الذي نقله أما المقالات والافتتاحيات التي كثيرا ما يدبجها مدير الجريدة وصاحب امتيازها: «عبد الحفيظ بن الهاشمي» أو رئيس قلم التحرير «مامي إسماعيل» فتأتي بلغة أدبية فصيحة وبأساليب أنيقة يغلب عليها النمط الحجاجي حيث يثير المقال قضية ويطرح وجهة نظر يرافع من أجلها ويحشد الأدلة والبراهين للدفاع عنها وتفنيد الرأي الآخر المناهض لها وكذلك الشأن بالنسبة للقصائد الشعرية التي كثيرا ما يدبجها الشاعر «محمد الصالح خبشاش» أو الشاعر: «أحمد بن يحي الأكحل» وغيرها فإنها تأتي في حلة جميلة وإخراج جيد حيث توضع في إطار تتناسق فيه الأبيات وتتساوى الأسطر. وتدل كل هذه الملامح على ثراء تجربة جريدة النجاح.

الفصل الثالث:

الدور الثقافي والسياسي

لجريدة النجاح

1- مادتها الثقافية والأدبية.

أ- المقـالة: ملامحـها المضمونية وخصائصها الأسلوبية.

ب- النص الشعـري: ملامحه المضمونية وخصائصه الفنية.

2- علاقتها بالتيار الإصلاحي.

3- مـواقفـها من السـياسة الاستعمارية.

4- تـوجهاتها.

1/ مادتها الثقافية والأدبية:

ينبغي أن نشير في البداية إلى أن جريدة النجاح -كما عايناها وتصفحناها[54]- هي جريدة إخبارية بالأساس، ومعنى هذا أن مساحة حضور الثقافة والأدب في فضاء صفحاتها يأتي في المرتبة الثالثة بعد مساحة الأخبار أولا ثم حجم الإشهار ثانيا. ونلاحظ أن المحتوى الثقافي والأدبي في الجريدة يتجلى -عموما- في شكلين بارزين هما: المقالة والقصيدة الشعرية، حيث تنشر الجريدة في كل عدد من أعدادها مقالة افتتاحية مطولة قد تردفها -أحيانا- بمقالة أخرى على صدر الصفحة الأولى، كما تنشر قصيدة شعرية في الصفحة الثالثة ضمن ركن تسميه حينا: «ديوان الأدباء» وحينا آخر: «صحيفة الأدباء».

و نشير أيضا إلى أن حضور المادة الثقافية والأدبية في جريدة النجاح هو حضور نسبي غير مطرد، ففي العشرينيات والثلاثينيات حينما كانت الجريدة تصدر في أربع صفحات كان ذلك الحضور مهما ولافتا للنظر أما في الأربعينيات والخمسينيات حينما أصبحت الجريدة تصدر في صفحتين فقط فإننا نلاحظ تقلص حضور الثقافة والأدب في مقابل اكتفاء الجريدة بنشر الأخبار. ولكي نقدم صورة عن المادة الثقافية والأدبية التي نشرتها جريدة النجاح فقد عدنا إلى مختلف أعداد أرشيف الجريدة وحاولنا ضبط فهرس تقريبي لما تم نشره من مقالات وقصائد شعرية فلاحظنا أن الجريدة قد نشرت تراثا ضخما ثقافيا وأدبيا، جزائريا وعربيا

وحتى عالميا ، وإن لهذه المادة الثقافية والأدبية وخاصة الجزائرية منها قيمة غالية، لأنها تدخل في إطار تراث الأمة أولا ، ولأن أغلب هذا التراث غير مجموع ومصنف ومطبوع فما أكثر ما وجدنا من أصوات شعرية قوية أصحابها مغمورون في المشهد الشعري الجزائري اليوم ثانيا هذا إضافة إلى أن تلك الكتابات تشكل ما يسمى بجيل الرواد ، وهي تدخل في إطار التاريخ الثقافي للجزائر في تلك المرحلة ثالثا. ولو قدر لواحد من الباحثين أن يجمع تلك المادة الثقافية والأدبية ويحققها وينشرها فإنه يكون بذلك قد قدم خدمة جليلة للوطن والأمة.

إننا يمكن أن نرصد ملامح المادة الثقافية والأدبية التي نشرتها جريدة النجاح كما يلي:

أ / المقالة: مضمونها وخصائصها الفنية

المعروف أن المقالة كقالب وشكل قد ارتبطت بالصحافة، وكما يرى "ناصر محمد"[55] فإن المقالة في الأدب الجزائري لم تعرف لها منشأ غير الصحافة العربية في الجزائر، وبحكم ريادتها وكثرة انتشارها وطول عمرها تكون جريدة "النجاح" قد احتضنت فن المقالة ورعته وطورت أساليبه معالجة من خلاله عدة مواضيع وقضايا دينية واجتماعية وسياسية وثقافية وتاريخية واقتصادية وغيرها بقلم أسماء صحفية وثقافية معروفة سواء تلك التي تنتمي إلى هيئة تحرير الجريدة على غرار: «عبد الحفيظ بن الهاشمي» أو «مامي إسماعيل» اللذين كثيرا ما وقعا المقالات الافتتاحية، أو بقلم شخصيات ثقافية متعاونة مع الجريدة أو مساهمة في إثراء

مادتها الثقافية مثل «عبد الحميد بن باديس – العربي التبسي – توفيق المدني – المولود بن الصديق الحافظي – الرشيد[56] [محمد بن عابد الجلالي] – الفرقد [سليمان بن يحي بوجناح] – المؤب – يحي بن محمد الدراجي» وغيرهم كثير بل إننا وجدنا في الجريدة مقالات بقلم: «عباس محمود العقاد» من مصر وأخرى مترجمة عن الفرنسية بقلم: «م. موريس فيوليت».

1/ ملامحها المضمونية:

أ – المقالة في الاتجاه الاجتماعي:

اهتمت جريدة النجاح كثيرا بقضايا المجتمع فتناولت مواضيع الأخلاق والتربية والتعليم ومحاربة الجهل والآفات الاجتماعية كالقمار إضافة إلى قضايا المرأة والشباب والتخلف، ففي موضوع الانحطاط العام كتب «المولود بن الصديق الحافظي» سلسلة مقالات تحت عنوان «العلم والأدب – وحالة الجزائر» شخص فيها حالة التخلف السائدة في المجتمع مبرزا الأسباب ومقترحا طرق العلاج ومما ورد في الحلقة الأولى من مقالاته قوله: «ومما زاد الحالة ارتباكا عدم الإحساس من الناس بالنقص وبانحطاطهم، وعدم الشعور منهم بسقوطهم فلا الوازع الديني اعتصموا به فينجيهم ولا العامل الأدبي تمكنوا به فيحفظهم وبهذا ركنوا إلى الخمول والجمود واتخذوا لأنفسهم مقاعد الحقارة والصغار»[57].

إننا نلاحظ عمق وعي الكاتب وإحاطته بالظاهرة وقدرته على تعليلها، كما نلاحظ حسن أسلوبه ولا عجب في ذلك فالرجل خريج جامع الأزهر ويعد من أغزر الكتاب الجزائريين كتابة وأطولهم نفسا.

وحول محاربة الآفات الاجتماعية كتب «مامي إسماعيل» مقالا افتتاحيا بعنوان «القمار في رمضان – التوبة من الخمر والسعي إلى القمار» شحذ فيه قلمه لمحاربة تفشي ظاهرة القمار في ليالي رمضان المباركة وهو أسلوب مشين يأباه الدين والخلق الكريم، يقول الكاتب «وهكذا تذهب أموال كثير السفهاء وعقلاء الأمة ونوابها وعلماؤها يشاهدون ولا يقومون بواجب النهي عن المنكر ولو قاموا لأصغت إليهم الحكومة قطعا ولأغلقت جل هاته المحال»[58] فالمقال يحمل سراة الأمة من علماء ونواب ومسؤولية التحرك لدى الحكومة الفرنسية قصد غلق نوادي القمار في شهر رمضان المعظم، وإن رغبة الجريدة في النهوض بالمجتمع لا تتوقف عند حدود طرح الظواهر الاجتماعية وحسب بل تتعداه إلى تقديم بدائل ولفت الانتباه إلى ما أحرزته الأمم المتقدمة من تطور في المجال الاجتماعي. وفي هذا السياق نجد مثلا مقالا افتتاحيا بقلم «عبد الحفيظ بن الهاشمي» بعنوان: «حاجتنا إلى الاجتماع –الجمعيات عندهم– إهمالنا لها» يدعو فيه الجزائريين إلى المبادرة بتأسيس جمعيات والانتظام فيها مبرزا دورها كاشفا عن كثرة وجودها بأوربا حيث يقول: «قلنا غير مرة أن الجمعيات هي الأساس الوحيد إلى تقدم البلاد في كل مضمار ولولاها ما نجمت فائدة واحدة للأمم التي ندعوها متقدمة»[59].

فالمقال يحث على تنظيم المجتمع المدني وتوحيد الرؤى والتصورات، وربما تكون هذه الدعوة المبكرة من مدير جريدة النجاح قد أتت أكلها فيما بعد حيث رأينا ميلاد بعض الجمعيات الجزائرية.

ب – المقالة في الاتجاه الثقافي:

نقصد بالمقالة الثقافية تلك التي تناولت قضايا الفكر ودور الكتابة والأدب وما يدخل في نطاق النقد الأدبي وكذلك وصف الحياة الثقافية، حيث نجد في الجريدة مقالات ثقافية وأدبية تنم عن حس حضاري وإدراك لأهمية البعد الثقافي رغم أن الجريدة كثيرا ما تطرح هذا البعد بكيفية مجردة فقد نشرت الجريدة مقالة أدبية بقلم «الفرقد»[60] بعنوان «السعادة الحقة» جاء فيها: «والناثر من مسك يراعه بين أنامله وسأل عواطفه عما تحدثه فتجيبه ويسطر ما يعنيه على تركيب جمل ظاهرها سواد في بياض وباطنها رموز وإشارات بينه وبين الطبيعة لا تنكشف إلا لأرباب هذا الفن الجميل»[61].

إنه يصور بعض أسرار عوالم الكتابة الأدبية وكيف أنها تمنح صاحبها إحساسا بالمتعة والسعادة، وإذا كانت هذه المقالة أقرب إلى الخاطرة الأدبية، فإن «عبد الحفيظ بن الهاشمي» يكتب بأسلوب أكثر قوة سواء من حيث المنهجية أو البيان والتصوير فهو يتناول في إحدى مقالاته الافتتاحية موضوع دور المثقف ومسؤوليته في النهوض بالأمة مبينا رسالة القلم وجدوى الكتابة في مقالة بعنوان: «الشعب والأقلام – طريقة العمل في إصلاح البلاد» يقول فيها: «الأقلام البليغة التي تتخذ النزاهة حلية ترفل فيما تسطره من صالح عام وخاص طبيب ماهر يفحص عن علة المريض فيسلط عليها من الدواء الناجح ما يناسبها قوة وضعفا، والشعب هو ذلك المريض النحيف الجسم أسير إشارات الطبيب ونصائحه بالأقلام البليغة تباشر علاج جسم الشعب بمهارة وحذق وتستعمل الحكمة في تسليط الدواء على الداء»[62].

فالكاتب كما نرى يقدم صورة بيانية شبه فيها الكاتب بالطبيب وشبه الشعب بالمريض وجعل دور الكاتب هو كشفه عن أمراض الشعب ومعالجتها. وبالإضافة إلى هذه النماذج نجد في الجريدة مقالات نقدية تعود بالقارئ إلى دراسة ظواهر أدبية في التراث العربي مثلما كتبه «محمد حسنين مخلوف» في تحليله لظاهرة الغزل العذري التي شاعت في العصر الأموي حيث كتب مقالة مطولة بعنوان: «الأدب والتاريخ – موضوع سيرة جميل مع بثينة»[63] صحح فيها بعض ما علق من شوائب بسيرة الشاعر العاشق جميل بن معمر مستشهدا ببعض أشعاره. والجريدة في سياق اهتمامها بالشأن الثقافي والأدبي تفرد مقالات لتغطية الحياة الثقافية ورصد ما فيها من حركة، فقد احتفت الجريدة مثلا بقدوم إحدى الفرق المسرحية المصرية الشهيرة إلى قسنطينة وهي فرقة فاطمة رشدي حيث خصصت لها الجريدة مقالا افتتاحيا بقلم رئيس التحرير «مامي إسماعيل» بعنوان «التمثيل العربي – فرقة فاطمة رشدي بقسنطينة – يجب الاستعداد لإكرام ضيوف أرض الكنانة»[64] والمقال كله تهليل قبلي لهذه الفرقة المسرحية وتشويق لحضور عروضها ومنها عرض مسرحية «مصرع كليوباترة» للشاعر «أحمد شوقي». وإن اهتمام الجريدة بالقضايا الثقافية والأدبية يدل على حسها الحضاري ورغبتها في النهوض بالحياة الثقافية عموما.

جـ - المقالة في الاتجاه الديني:

المعروف عن جريدة النجاح أنها انطلقت إصلاحية في البداية، ثم تحولت في الثلاثينيات إلى جريدة مناوئة للحركة الإصلاحية

الباديسية، مساندة للطرقية تنشر أخبارها وتنعي وفاة رجالاتها، لذلك كثيرا ما نجد المقالة في الاتجاه الديني هزيلة ومضطربة التصور بين الطرح الإصلاحي والطرح المحافظ، وفي مرحلة أخرى نلاحظ أن الجريدة توظف الدين لأغراض سياسية استعمارية. فمن المواضيع الدينية التي عالجتها الجريدة نجد قضية الحجاب حيث كتب «يحي بن محمد الدراجي» مقالة بعنوان: «المرأة المسلمة والحجاب»[65] كما نشر مقالا مطولا في حلقتين بعنوان: «الخلافة في الإسلام والإمامة العظمى»[66] بحث فيه إشكالية الخلافة في التاريخ الإسلامي مستجليا الموضوع بما أثارته من فتنة كبرى في العصر الأموي محاولا الاحتكام للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وآراء العلماء. ونلاحظ أن الجريدة تخصص مقالات دينية كلما حل شهر رمضان تبرز فيها عظمة الشهر الفضيل وتذكر آداب الصوم وذلك في سبيل نشر الثقافة الدينية بين القراء. ولتحقيق هذه الغاية تبادر الجريدة إلى نشر مقالات بقلم كتاب عرب كبار، فقد وجدنا مقالة مطولة في ثلاث حلقات متتالية بتوقيع الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد بعنوان: «الصيام»[67] وربما تكون الجريدة قد نقلت الموضوع عن إحدى الصحف أو المجلات المصرية، كما نقلت غيره في مواضع وأعداد مختلفة. غير أن ولاء هيئة تحرير الجريدة وخاصة مؤسسها وصاحب امتيازها «عبد الحفيظ بن الهاشمي» للطرقية ومناصرته لدعاويهم وخزعبلاتهم من خلال ما يوقعه من مقالات تحت أسماء مستعارة مثل اسم: «الرشيد»[68] و«صهيب» قد جعل ما تنشره الجريدة من مقالات دينية محل ردود مستنكرة من طرف رموز التيار الإصلاحي وخاصة «الشيخ عبد الحميد بن باديس» الذي كتب

موضوعا بعنوان: «المناظرة والمهاترة» يفضح فيه الأساليب الملتوية التي سلكتها جريدة النجاح وخاصة مديرها «عبد الحفيظ بن الهاشمي» في مناصرة الطرقية بواسطة: «تقويل الكتاب ما لم يقولوه، وإساءة الظن بهم والقدح في أعراضهم، ومحاولة نقض بعض أقوالهم بالأحاديث الموضوعة وتحريف معنى الآيات الكريمة... فمن الأول تدليسهم على العامة بأن كتابنا أنكروا الولاية، وطعنوا في الأموات... ومن الثاني ما وقف حياته على نشره «الرشيد» وعضده «صهيب» الجديد إلى غير ذلك من الألقاب التي شمر أصحابها عن ساعد الجد للسباب وتستروا خشية الفضيحة بين العبيد... ومن الثالث الاستدلال بآية «وابتغوا إليه الوسيلة» في غرض ليست الآية منه وحملها عليه من باب تحريف الكلم عن مواضعه»[69].

وبصورة عامة فإن المقالة في الاتجاه الديني التي تنشرها جريدة النجاح هي تلك المقالة التي يرتضيها الأئمة الرسميون وتخدم توجهات الطرقيين بمباركة الإدارة الفرنسية.

د – المقالة في الاتجاه السياسي:

رغم أن جريدة النجاح في السنوات الأولى من تأسيسها كانت ذات توجه إصلاحي إلا أن معاينتنا لأرشيفها في تلك المرحلة لم يسمح لنا بالعثور على مقالات سياسية مناهضة للاستعمار وفي تفسير هذه الظاهرة يرى "ناصر محمد": «أن المعاملة الاستعمارية القاسية للصحافة العربية الجزائرية عامة، ومطاردتها للأقلام ذات النزعة الوطنية خاصة كانت عاملا مباشرا، ومؤثرا قويا،

في توجيه المقال السياسي، وطبعه بطوابع متميزة فكرة وأسلوبا. ولعل الذي يدلنا على ذلك هو تحاشي بعض الصحف الوطنية الخوض في هذه الأحاديث السياسية، واستعمال بعض آخر ضروبا من التعريض والتلميح»[70] ولذلك فإن إعراض هيئة تحرير جريدة النجاح عن نشر مقالات مناوئة للإدارة الفرنسية كانت له أسبابه الموضوعية فحتى التيار الإصلاحي الذي تأسس فيما بعد وانتظم في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان يخفي نشاطه السياسي خلف نشاطه الديني في سبيل مراوغة عيون الإدارة الفرنسية التي لا تنام حيث طالت قرارات التعطيل والتوقيف الكثير من الصحف. والمؤكد أن التعليل الذي يبرر ديمومة جريدة النجاح واستمرارها في الصدور منذ تأسيسها في أوت 1919 يتمثل في مهادنتها للإدارة الفرنسية وتحاشيها نشر المقالات السياسية المناهضة لها، وإن كل ما وجدناه من مقالات سياسية لا يخرج عن إطار العموميات وخاصة ما يتعلق بالوطن العربي والعالم الإسلامي مثل مقال: «تركيا والإسلام ودسائس الإنجليز»[71] لعبد الحفيظ بن الهاشمي حول موضوع إلغاء نظام الخلافة الإسلامية بتركيا على يد «كمال أتاتورك» في إطار ما يعرف بسياسة التتريك.

ولقد استمر هذا التوجه السياسي العام فيما تنشره الجريدة من مقالات سياسية حيث نجد سلسلة مقالات منشورة على حلقات بقلم أمير البيان «شكيب أرسلان» بعنوان: «تضامن إسلامي لا جامعة إسلامية»[72].

غير أن جريدة النجاح بدأت تماشي سياسة الإدارة الفرنسية بداية من الثلاثينات حيث وجدنا مقالات تغطي الاحتفالات الفرنسية بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر، كما وجدنا مقالات داعمة لخيارات السلطة الفرنسية القائمة مثل المقال الصريح الذي كتبه "عبد الحفيظ بن الهاشمي" حول قانون التجنيس بعنوان: «شعب الجزائر يحسن الظن بالوزارة»[73].

وسيأتي تفصيل ذلك في الجزء الخاص بتحليلنا للمواقف السياسية لجريدة النجاح من السياسة الاستعمارية. غير أن ما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام هو ذلك الاضطراب الملحوظ في معالجة الجريدة للقضايا السياسية، فهي بخصوص الجزائر تقف موقفا داعما للإدارة الفرنسية بل وتزكي نظرتها للوضع الجزائري فقد قامت بنشر كتاب كامل في عشرات الحلقات بعنوان: «هل تعيش الجزائر؟ مذكرات وال عام سابق – بقلم: م – موريس فيوليت»[74] تناول فيها عدة تحاليل سياسية ارتكزت على تقييم ثروة الجزائر الاقتصادية ونموها الاجتماعي ومستقبلها كما يراه الكاتب.

ويبدو أن إقدام الجريدة على نشر هذا الكتاب الذي عربته «النهضة التونسية» هو على سبيل مغازلة الإدارة الفرنسية وإعلان الولاء لها من خلال تبني نظرة رجالاتها. أما بخصوص الوضع السياسي في الوطن العربي والعالم الإسلامي فإننا نجد في جريدة النجاح مقالات سياسية هامة معنى ومبنى ومواقف شجاعة مثل مناهضتها للصهيونية وفضحها لأساليبها ومثل انتصارها للقضية الفلسطينية حيث كتب: مامي إسماعيل مقالا مطولا في حلقتين بعنوان: «على ذكر حوادث فلسطين – وتقلبات اليهود ومطامعهم»

وقف فيه على تاريخ اليهود وروى تشردهم في بقاع العالم منذ سيدنا يوسف عليه السلام وهبوطه إلى مصر، ومما خلص إليه الكاتب قوله: «وفي الأوطان المسيحية كلها يعتبر اليهودي لا قيمة له ولا كلمة، وإنما يرعى الأغنام ويتاجر في البضائع الحقيرة أو يعطي الدراهم بالربى ولما جاء الإسلام وجاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة لكافة المخلوقات وقبلته جميع الأمم الوثنية ساعد المسلمون اليهود عملا بأوامر القرآن الشريف»[75] ومن خلال المقال نكتشف الثقافة العالية التي يتمتع بها مامي إسماعيل. كما نكتشف أسلوبه الشيق في عرض أفكاره بمنهجية وهدوء والاحتجاج عليها بحقائق التاريخ، ففي الحلقة الثانية من مقاله يؤكد قائلا: «وفي سنة 1927 لما زرت مصر وفلسطين وغشيت مجالس رفقائي الصحفيين والمفكرين لم أجد حديثا يدور في المجالس إلا عن الحركة الصهيونية ومكر إنكلترا بالعرب وكذبها عليهم وغدرها ومخادعتها»[76].

هـ - المقالة في الاتجاه الاقتصادي:

يذكر "ناصر محمد"[77] أن الصحف الجزائرية عموما كانت قليلة الاهتمام بالقضايا الاقتصادية كالفلاحة والتجارة والحرف الأهلية والأزمات الاقتصادية ومشاكل العمال وغيرها وذلك لأن المعنيين عموما بهذه المقالات أميون لا يقرأون ما يكتب من أجلهم، فضلا عن أن طبيعة هذه المواضيع تحتاج إلى معلومات محددة وبيانات مدققة ليست في متناول الكتاب جميعا. من هنا غلبت على جريدة النجاح نشرها الأخبار الاقتصادية كأحوال الفلاحة والإنتاج الزراعي وهذا في غياب مقالات اقتصادية تحيط بالموضوع

وتعالجه من مختلف جوانبه، فما وجدناه في أرشيف جريدة النجاح من مقالات في الاتجاه الاقتصادي قليل جدا بالمقارنة مع المقالات الاجتماعية مثلا. كما أنها مقالات تتميز بالمعالجة السطحية والطرح العام في غياب لغة الإحصائيات والنسب والأرقام وهي اللغة الضرورية في مجال القضايا الاقتصادية، ومن المواضيع التي تناولتها الجريدة قضية غلاء أسعار الفنادق حيث لم يعد في مقدور طالبي العلم من التلاميذ القادمين إلى قسنطينة دفع أسعار كراء غرف تلك الفنادق فضلا عن كونها متسخة تحتاج إلى تنظيف، وأمام هذه الظاهرة لم يجد كاتب المقال «مامي إسماعيل» من حل سوى استدرار العواطف قائلا: «فما أكثر أغنياءنا وما أجودهم في المفسدات وما أقلهم وأبخلهم في المهمات»(78) والملاحظ أن الكاتب لم يجد من طريقة لتشخيص الظاهرة واقتراح الحلول لها غير استعمال صيغ التعجب داعيا إلى الرأفة بهؤلاء الطلاب. وبنفس الأسلوب تقريبا نجد مقالا بقلم عبد الحفيظ بن الهاشمي حول موضوع الأزمة الاقتصادية اختار له العنوان التالي: «الأزمة الحاضرة – معاملة البنوك وصناديق الاحتكار» حاول فيه تحليل الوضعية التي آل إليها عالم المال والأعمال حيث أصبحت البنوك تفرض المعاملات الربوية فيقول: «وقد انجر من صنيع البنوك ارتباك عظيم في الوسط، فالعاجز عن إدارة حركته قد يضطر إلى المراباة فيعمد إلى أولئك المرابين الذين لا يشفعون بالإنسانية»(79) فالكاتب لا يحلل المعاملات البنكية في ضوء المعطيات الموضوعية لعالم الاقتصاد ولكنه يمزج بين المعطى الاقتصادي مع الشعور العاطفي والديني، وما أكثر ما وجدنا في الجريدة من مقالات تركب الحياة الاقتصادية لتشيد بمجهودات الحكومة الفرنسية

في النهوض بالاقتصاد الجزائري على غرار ما كتبه المدعو «التجاني زين العابدين» بعنوان «مظاهر محسوسة لاعتناء الدولة الفرنسية برفع مستوى حياة سكان القطر الجزائري»[80] فالجريدة تغطي زيارات المسؤولين الفرنسيين للجزائر وتشيد بالإنجازات الاقتصادية المقامة كالسدود والبنايات والطرق ومظاهر العمران وغيرها.

وتجدر الإشارة إلى أن الطروحات الاقتصادية لمقالات جريدة النجاح تكاد تخلو من البيانات العلمية المدققة إن هي إلا ملاحظات ممزوجة بمؤثرات عاطفية. فالمقال العلمي عموما يكاد يكون الغائب الكبير عن صفحات هذه الجريدة إلا لماما حيث نراها تخصص أحيانا ركنا غير مستقر في الجريدة تسميه: «صحيفة الصحة والطب للعائلة»[81] تقدم فيه نصائح وإرشادات صحية عامة بأسلوب مبسط يراعي المستوى العام للناس أو تسعى إلى تلخيص محاضرات في سبيل نشر ثقافة صحية مثل المقال الذي وقعه المكنى «بالمؤدب» حول «الأمراض المعدية وطرق الوقاية منها» تلخيصا لمحاضرة ألقاها «الدكتور عبد الله بك جلال» ومما ورد في ذلك المقال «طرق الوقاية من هذه الأمراض: أولا مراعاة النظافة والمحافظة على المياه التي يشربها الإنسان... عدم الاختلاط بالمصابين واستعمال آنيتهم»[82] وصفوة القول فإن ارتباط القضايا الاقتصادية بالسياسة، قد جعل من هيئة تحرير جريدة النجاح تتحرى المهادنة والمسالمة وتحاشي الحديث عما يحرج الإدارة الفرنسية في إدارتها للاقتصاد الجزائري ونهب خيرات البلاد والسطو على ممتلكات الأهالي. وعن موقف مدير جريدة النجاح

«عبد الحفيظ بن الهاشمي» من القضايا الاقتصادية يقول "ناصر محمد" «رأينا عبد الحفيظ بن الهاشمي يقف من السلطات الحاكمة موقفا مسالما فإنه على الرغم من كونه أكثر الكتاب الجزائريين عناية بهذه القضايا [يعني الاقتصادية] بمختلف أنواعها فإنه لم يجرؤ على أن يمس الحكومة الفرنسية ولا أن يقترب من حمى المعمرين كما فعل غيره، ولا يرجع هذا فيما نحسب إلى طبيعة هادئة فيه أو رصانة فطرية عنده (كابن باديس مثلا) لأننا نجده كثير الهجوم على الأهالي منتقدا كسلهم وتفرق كلمتهم في هذا الميدان منددا بالجزائريين المتفرنجين الذين يفضلون الألبسة الأجنبية ويتهافتون عليها بينما هم يتنكرون لألبستهم القومية لأنها صناعة أهلية منحطة»[83].

2/ خصائصها الأسلوبية:

يجمع النقاد والدارسون على أن الصحافة كان لها الأثر العميق والفضل الكبير في تطوير أساليب النثر العربي في العصر الحديث وتخليصه مما علق به من ركاكة وتحجر وإسفاف ورثه عن عصور الضعف والانحطاط. ولأن الصحافة تتطلب السرعة والتوجه إلى عامة الناس فإن ذلك قد جعل أساليبها تتميز بالوضوح والترسل والتركيز في عرض الأفكار وفق منهجية محددة تنطلق من المقدمة المشوقة إلى العرض المترابط للأفكار ثم الخاتمة.

هذه المميزات العامة نجدها مجسدة فيما نشرته جريدة النجاح من مقالات، وذلك بحكم كونها جريدة أسبوعية في البداية ثم يومية وأحيانا تصدر كل يومين، تتوجه بخطابها الإعلامي إلى عامة الناس فهي ليست جريدة رأي تخاطب النخب المثقفة ولكنها

جريدة إخبارية في الأساس تخاطب عامة الذين يطالعون الصحف، وهذا ما فرض على أساليبها تحري خصائص الوضوح والترسل، ثم إن المستوى الثقافي لهيئة تحرير الجريدة يتحكم إيجابا أو سلبا في تحديد الخصائص الأسلوبية لما تكتبه أو تنشره هذه الجريدة أو تلك من مقالات وكتابات، وعلى هذا الأساس فإننا نجد كلا من مدير الجريدة وصاحب امتيازها «عبد الحفيظ بن الهاشمي» ورئيس قلم تحريرها «مامي إسماعيل» وهما الكاتبان الأكثر توقيعا لما نشر في «النجاح» من مقالات، نجدهما يتمتعان بثقافة عالية مقارنة بالمستوى الثقافي العام للمتعلمين من أبناء الجزائر في ذلك الوقت، فهما أديبان، شاعران، صحفيان، تلقيا تعليما دينيا في مسقط رأسيهما قبل أن يواصلا رحلة التعليم في جامع الزيتونة بتونس، وربما يكون «عبد الحفيظ بن الهاشمي» أكثر ثقافة من صاحبه "إسماعيل" حيث ورد في كتاب «نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار» قول الكاتب "الصيد سليمان" في معرض تعريفه بصاحب جريدة النجاح حيث يذكر في الهامش: «والشيخ عبد الحفيظ يعتبر علامة في الفقه والدين وغيرهما وهو من الصحفيين الكبار كانت له مقالات مهمة في السنوات الأولى من النجاح يحتاج إليها الباحثون»[84]. وإن تركيزه على السنوات الأولى فقط من النجاح يعود إلى توجه الجريدة فيما بعد، وليس إلى مستوى مقالات «ابن الهاشمي» والتي ازدادت في الحقيقة قوة وجمالا أسلوبا. وإننا يمكن أن نجمل الخصائص الأسلوبية للمقالة المنشورة في جريدة النجاح كما يأتي:

- الطول المفرط، فالمقال الافتتاحي قد يأخذ النصف الأيمن بالكامل من الصفحة الأولى ثم لا ينتهي إلا في جزء من صفحة أخرى تحت اسم «تتمة المقال الافتتاحي» كما نجد في الجريدة

المقال الطويل جدا والذي يمتد نشره إلى سلسلة من الحلقات قد تطول كثيرا فتصبح متابعتها أمرا مملا مثل مقال «المولود بن الصديق الحافظي» الموسوم بعنوان «العلم والأدب – وحالة الجزائر»[85] والمنشور في أكثر من خمس حلقات طوال. حيث نجد في المقال كثيرا من الإطناب والإسهاب واللف والدوران حول الفكرة الواحدة دون الذهاب إليها من أقصر طريق، حيث أن التركيز والتكثيف من متطلبات المقال الصحفي الجيد، ونشير أيضا إلى أنه من الناحية الإخراجية فإن الجريدة تحتفظ بنفس العنوان ولا تساعد القراء بوضع عناوين فرعية مثلا.

- استعمال الأسلوب المرسل المتحرر من قيود التصنع اللفظي، فالمقالات تأتي متدفقة في عبارتها خالية من التزويق والتنميق، ألفاظها بسيطة واضحة خالية من الركاكة والإسفاف ومن استعمال الغريب والحوشي فهي لغة عربية فصيحة مناسبة للغة الصحافة، كما أن تراكيبها سهلة يتساوى فيها اللفظ مع المعنى وإذا كانت جملها طويلة فإن ذلك يأتي استجابة لمقتضيات الشرح والتحليل والاحتجاج.

- التأثر بالثقافة الإسلامية وذلك لأن المورد الأساسي الذي نهل منه كتاب المقالات هو الثقافة الدينية وهي الميزة الأساسية للتعليم العربي في ذلك الوقت حيث عادة ما تكون البداية بحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف قبل التبحر في علوم اللغة والعقيدة والشريعة فعبد الحفيظ بن الهاشمي مثلا فقيه في الدين تولى حتى منصب الإفتاء كل ذلك انعكس في كتاباته فوجدناه يكتب متأثرا بالعاطفة الدينية ساعيا إلى توظيف معارفه الإسلامية من

نصوص وأحكام، أما «مامي إسماعيل» فإن كتاباته كثيرا ما تغلب عليها الثقافة الاجتماعية وذلك بحكم امتهانه الطويل لمهنة الصحافة حيث كان يعمل من قبل في جريدة «المبشر» قبل أن يتولى رئاسة تحرير جريدة النجاح والملاحظ أن التوجه العام لما ينشر من مقالات في جريدة النجاح يتميز بالميل إلى بث الثقافة العامة مهما كانت طبيعتها وذلك بهدف الرفع من المستوى الثقافي العام لجمهور القراء المتعطشين للمعرفة.

- اتباع الطرح الموضوعي لمحاولة إقناع القارئ ومزجه بالانفعالات العاطفية لمحاولة التأثير في وجدانه، إذ يبرر "ناصر محمد" هذا الأسلوب بقوله: «يبدو أن الظروف التي أحاطت بالكاتب الصحفي كانت تفرض عليه في بعض الأحيان أن يخاطب قراءه بمثل هذا الأسلوب، لذا نجده كثيرا ما ينساق بعاطفته المشبوبة وراءه، بعد أن غلبته مشاعره المتدفقة على أمره»[86]. غير أننا نجد مقالات أخرى يطغى عليها الطابع التحليلي الهادئ جدا، فيأتي الأسلوب باردا جافا وكأنما الكاتب ذاته غير مقتنع في قرارة نفسه بما يقول وغير صادق وجدانيا فيما يذهب إليه، وخاصة في تلك المقالات الداعمة للاستعمار في مواقف باطلة جدا قد تفرض على الكاتب تكلف القول فيأتي المقال جافا حيث يذكر "ناصر محمد" بخصوص عبد الحفيظ بن الهاشمي ومامي إسماعيل فيقول: «وقد لاحظنا مرات عديدة أثناء البحث كيف جعل حرص بعضهم على مساواة اللفظ للمعنى أسلوبهم جافا لا ماء فيه باهتا لا روعة عليه»[87].

• التنويع في استخدام الأنماط النصية حسب مقتضى الحال فإذا كان «مامي إسماعيل» قد برع في استخدام النمط الحجاجي متسائلا ومرافعا وكذلك النمط الوصفي في تشخيص الظواهر وإبراز القضايا باتباع الجد مرة والتهكم أخرى فإن «عبد الحفيظ بن الهاشمي» بميولاته الأدبية قد برع في استخدام الأنماط السردية والتفسيرية بالتصريح مرة والتلميح أخرى، فقد كتب مقالا بعنوان «النعامة لا طير ولا جمل» يسخر فيه من العرب المتشبهين بالفرنسيين فيقول متهكما: «خلق الله الحيوان ذا شكل وألوان، وميز الأجناس رفعا للالتباس، وهذه الحكمة لصاحب الذكاء، أسطع له من قرص الذكاء، وهناك قسم من المخلوقات تجمع فيه من الأوصاف ما أكثر له العلاقات، فإذا عقدت الخنصر والبنصر على أن تضمه إلى عنصر، منعك باب التنازع في الأوصاف، عن الحكم بالنسبة والمضاف، فيبقى بين بين ليس في نسبته يقين، وكذلك مثل النعامة التي أشبهت البعير في الهامة وحاكت الطيور في الأجنحة، وفي المخالب التي هي لها أسلحة»[88].

وصفوة القول في هذا المجال فإن لجريدة النجاح دورا كبيرا في النهوض بالنثر الفني الجزائري وتطويره ليكون سلسا مواكبا للعصر، متخلصا من الركاكة والتحجر والإسفاف وغيرها من العيوب التي ورثها عن عصور الانحطاط.

ب / النص الشعري: مضمونه وخصائصه الفنية

اهتمت جريدة «النجاح» بنشر النصوص الشعرية، فخصصت لها فضاء، تبرزه أحيانا في صدر صفحتها الأولى، وفي أغلب الأحيان

تبرزه في صفحتها الثالثة ضمن ركن قد تسميه «صحيفة الأدباء» أو تسميه «ديوان الأدباء» وإن حضور هذه المادة الشعرية يتميز بالوفرة والكثرة في السنوات الأولى من صدور الجريدة حيث يذكر "الصيد سليمان" عن جريدة النجاح: «هذه الجريدة في أول أمرها كانت مستقلة تعتني بشؤون الثقافة والأدب وغير ذلك»(89).
حيث نلاحظ في مختلف أعداد الجريدة تردد الكثير من الأسماء الشعرية الجزائرية والعربية، ولئن كان حضور البعض باهتا وقليلا وخاصة فيما يخص الشعراء العرب من تونس والمغرب ومصر ولبنان، والعراق وغيرها أمثال: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم من مصر، وأحمد الصافي النجفي من العراق، فإن حضور الشعراء الجزائريين كبير وتغطي أسماؤهم مختلف جهات الوطن، فيهم المعروف والمشهور مثل: مفدي زكريا ومحمد العيد آل خليفة، وفيهم الأقل شهرة والمغمور أمثال: محمد منصور العقبي من «سيدي عقبة» وأحمد بن عبد الرحمن الشاذلي من «قصر البخاري» والتجاني زين العابدين، وابن سليمان العياشي [أبو إلياس] وغيرهم إلا أن أكثر الأسماء الشعرية نشرا في جريدة النجاح وحضورا في ركني: «صحيفة الأدباء» و«ديوان الأدباء» ثلاثة فرسان وهم: محمد العلمي [عميد. النجاح بالجزائر العاصمة] والشاعر: أحمد بن يحي الأكحل، والشاعر القسنطيني: محمد الصالح خبشاش، الذي يعد بحق شاعر الجريدة بدون منازع، فقصائده مبثوثة في مختلف أعداد الجريدة لأنه كان يعمل صحفيا بها حيث يقول عنه "الصيد سليمان": «وكان مدة حياته يقوم بنشاطات أدبية –شعرا ونثرا– ومع الأسف أن إنتاجه الأدبي الممتاز في مجموعه لم يجمع إلى اليوم. وهو موزع بين الصحف: النجاح،

الحق وغيرها»[90]. لقد قدم "ناصر محمد"[91] فهرسا لمادة الشعر الجزائري المنشور في جريدة النجاح من سنة 1930 إلى سنة 1939، أحصينا فيه 112 قصيدة، ولاحظنا أن 92 قصيدة منها هي للوطني الصميم الذي هو محمد الصالح خبشاش كما يذكر "ناصر" في الهامش.

إن احتفاء جريدة النجاح بنشر النصوص الشعرية: مقطوعات وقصائد مطولة جدا وحسن إخراجها في إطار منظم وتقسيمها إلى مقاطع واضحة، كل ذلك يدل على حسن تقدير الجريدة للشعر ومساهمتها في تحريك وتطوير المشهد الشعري الجزائري، كيف لا ومدير الجريدة وصاحب امتيازها «عبد الحفيظ بن الهاشمي» شاعر مجيد وجدنا له في «النجاح» قصائد منشورة باسمه المستعار: «الرشيد».

1- ملامحه المضمونية:

أ/ المضمون الوطني: كثيرة هي القصائد المنشورة في جريدة النجاح، المعبرة عن حب الوطن وتمجيده والاعتزاز به فهذا الشاعر «الشيخ المولود الأزهري» المدرس في بوفاريك ينشر قصيدة مطولة من ثلاثة وستين بيتا بعنوان «فيا وطني»[92] مطلعها:

فيا وطني لم آل جهدا إنما رأيت زماني مع زمانك آتيا

فكم نصب لي في هواك وما انثنى ضميري وقد ابديت نفسا عصاميا

والملاحظ أن الشاعر في تعبيره عن حب الوطن يظل يدور في فلك هذا التمجيد دون الإشارة الصريحة إلى الاستعمار الذي سلب هذا الوطن وقام باحتلاله ظلما وعدوانا، فذكر الشاعر لوطنه هو من قبيل الإخلاص والوفاء له ليس إلا، وفاء يذكر مجردا من أي طرح

سياسي فالشاعر ينشد عزة الأوطان العربية جميعها معلنا انتماءه لها. حيث يقول:

وإني امرؤ أصبوا لذكر مواطني وألحظها بين الشعوب نواحيا

أكاد إذا عزت أناطح فرقدا وإلا فإني أسكب الدمع قانيا

أما الشاعر «محمد الصالح خبشاش» فإنه يشيد بالوطن ولكنه لا يتوقف عند المعاني المجردة بل يعدد السلوكات المعبرة عن ولاء الفرد لوطنه وحبه له، فهو يدعو إلى الإخلاص في خدمة الشعب والعمل على رفعة هذا الوطن فيقول من قصيدة بعنوان:

«بسطة الدهر...!»[93] وقعها بكنيته التي كثيرا ما وقع قصائده بها «الوطني الصميم» فيقول:

لا تترك النفس تعنو في الضلالات واخش العواقب من رب السماوات

واخلص لشعبك واجهد في تقدمه فبئس من خان شعبا في الملمات

ولا تبيتن مسرورا بسانحة وإن تربعت في أعلى المقامات

أو كنت متبعا أو كنت منتخبا وقد تجاوزت أقرانا بأصوات

يكفي الفتى أن غدا بالدهر مغتبطا حال (ابن عباد) إذ أضحى باغمات

فارفع مقامك يا قطر الجزائر في قول وفعل وأخلاق كريمات

والخطب سهل إذا ما كنت متحدا إن اتحادك مقصود وبالذات

فالشاعر كما نرى يلح على الجميع مهما اختلفت المناصب والمواقع أن يكونوا مخلصين لخدمة الوطن والعمل على رفعته وتقدمه وهو يحذر المتهاونين من أن يلقوا نفس مصير «المعتمد بن عباد» الخليفة الأندلسي الذي مات مقتولا لأنه استهان بشعبه، وهذه إشارة سياسية ذكية من الشاعر «خبشاش» تحيلنا إلى عدة إيحاءات كما أن الشاعر يحث الجميع على الاتحاد لأن وحدة

الشعب بإمكانها تجاوز الخطوب مهما كانت، غير أن الشاعر مثل سابقه يظل يدور في التعميم ولا يذكر هذا «الخطب» مثلا بصراحة مما يجعل المعنى هلاميا وقابلا لتأويلات متعددة.

إن النص الشعري ذا المضمون الوطني المنشور في جريدة النجاح، نص حذر يراوح معاني التمجيد والاعتزاز والافتخار بهذا الوطن ولكنه لا يتجاوز هذه المعاني إلى الحديث عن نكبة الوطن وجراحه ممثلة في هذا الاستعمار الغاشم الذي أرخى سدوله على هذا الوطن وحول أيامه إلى ليال حالكات. والأكيد أن امتناع الجريدة عن نشر ما يذكر هذا الاستعمار يأتي انسجاما مع توجهها وحرصها على استمرار علاقتها الودية مع الإدارة الفرنسية، فالمضمون الوطني يأتي خاليا من أي حديث عن النضال والصراع، فهو مضمون يمجد الوطن كما هو دون دعوة إلى تغيير أوضاعه السياسية.

ب/ المضمون الاجتماعي: يتفق النقاد على أن الشعر مرآة المجتمع، لأن الشاعر ومهما كانت ميولاته المذهبية لابد أن يغرف معانيه من المجتمع الذي يعيش فيه، وسواء كان متفقا ومتكيفا مع المجتمع، أو كان مختلفا وراغبا في تغيير أوضاعه، فإن المجتمع في الحالتين موجود في مرآة الشعر. وحتى لا نغرق في هذه العمومية فإننا لا نقصد بالمضمون الاجتماعي كل هذا المحتوى العام، وإنما نعني به ذلك الشعر الذي يشخص الظواهر الاجتماعية ويتناول القضايا كالعمل والتعليم ومحاربة الآفات وإصلاح الأخلاق وغيرها وذلك بتحديد أسباب المرض ثم اقتراح الحلول وطرق العلاج. وإذ تبنينا هذا المفهوم للشعر الاجتماعي فإن جريدة النجاح على غرار م

نشرته من مقالات اجتماعية قد نشرت شعرا كثيرا ذا مضمون اجتماعي فهذا الشاعر «عبد الحفيظ بن الهاشمي» ينشر قصيدة بعنوان:

«خدمة الشعب»[94] وقعها بكنية «الرشيد» في الصفحة الأولى يقول فيها:

لا تحسب العمل الصحيح مقالة	مشحونة بالقذف والتفريع
أو دعوة قرنت بحق ضد ما	يتلو الفتى في سجدة وركوع
أو نسبة الأسلاف للخطل الذي	لا ينتج المطلوب في المشروع
بل خدمة الأوطان في إصلاح ما	قد هد من مجد بلا تشنيع
بل خدمة الأوطان في تزويدها	بالعلم لا بخرافة الملدوع

فالشاعر يسخر من الذين يدعون خدمة الوطن بالخطب والكلام الرنان سواء في اتجاه توجيه الشتائم للبعض أو تمجيد الأسلاف، فخدمة الوطن في رأيه تكون بإصلاح ما فسد وبتزويد الشعب بالعلم وليس بالخرافات، ولعل الشاعر في هذا المقام يلمح لأسلوب بعض الدعاة، وإننا نلاحظ في هذا المقطع امتزاج المضمون الاجتماعي بالمضمون الوطني لأن تطور المجتمع هو تطور للوطن بالضرورة. أما الشاعر: «محمد العلمي» فإنه يتفق تماما مع مقولة أن الشباب مستقبل الأمة وأن في تعليم هذه الشبيبة خيرا عميما إذ يقول في قصيدته: «مدرسة الشبيبة الجزائرية»[95]

إن الشبيبة قد أنار بحزمها	أفق البلاد بحسنها الفتان
سهرت على بث العلوم ودرسه	إن المدارس منبع الفرقان
إني أحبك -يا شبيبة- كلما	خدمت دروسك علم الإنسان

فالشاعر يثق كثيرا في هذه الشبيبة الجزائرية ويعلن حبه لها لأنها دخر الوطن ومستقبله الواعد وفي نفس السياق تقريبا يترنم الشاعر «محمد العيد آل خليفة» بطموح الشباب وتفاؤله وعدم رضوخه لليأس حيث تنشر له الجريدة قصيدة أشارت في هامشها إلى أنها نقلتها عن صحيفة «الشهاب» تقدم صاحبها بلقب: «شاعر الشباب» وهي بعنوان: «ما أنا يائس»[96] يقول فيها محمد العيد آل خليفة:

كما شئت فامطل يا زمان ببغيتي ... أو ابخل بها عني فما أنا يائس

أتحسب أني للحوادث راضخ ... وأني منها جازع القلب بائس

سيأتي زمان للجزائر زاهر ... يطيب الجني فيه وتنمو المغارس

فالشاعر يدعو إلى تحدي الظروف وعدم الاستسلام للبؤس مهما كان، وبنبرة الحالم الواثق يؤكد بأن مستقبل المجتمع الجزائري مستقبل زاهر، ونلاحظ في هذا المقطع أيضا كيف يمتزج المضمون الاجتماعي بالمضمون الوطني في تناغم طبيعي رائع، ولكن دون الإشارة أبدا إلى المهالك التي يقترفها الاستعمار الفرنسي، فالحلم الاجتماعي حلم عام في سياق التطور الاجتماعي ضمن صيرورة الاحتلال الذي تتحاشى النصوص الشعرية ذكره.

جـ/ المضمون الوجداني: إن أكثر النصوص الشعرية المنشورة في جريدة النجاح، تنتمي إلى تيار مدرسة الإحياء، وبالتالي فهي قصائد تتبنى النموذج القديم للقصيدة العربية في أسلوبها ومضامينها وأغراضها فالشاعر مهتم بحياة الآخرين وقلما يلتفت إلى ذاته ليعبر عما يختلج في أعماقه من معاناة وأحلام، إذ المعروف أن تيار التعبير عن الوجدان قد بشرت به المدرسة الرومانسية بداية

من عشرينات القرن التاسع عشر –على الصعيد العربي– مع جماعة الديوان والرابطة القلمية وجماعة أبو للو، ورغم أن تأثيرات هذه الجماعات في حركة الشعر الجزائري الإحيائي محدودة إلا أننا نجد في بعض القصائد التي نشرتها جريدة النجاح نزوعا إلى الوجدانية وتحليقا في سراديب الذات وتعبيرا عن المشاعر المتدفقة، بنبرة غنائية تتعانق فيها المشاعر مع مظاهر الطبيعة تعانقا جذابا وكنموذج لهذا الشعر الوجداني نجد قصيدة «الغروب»[97] للشاعر الجزائري المعروف بكنية «أبو إلياس» وقعها باسم «ابن سليمان العياشي بالمدرسة» يقول في مطلعها:

وكعاب في مساء أقبلت تسحب الذيل دلالا كشهاب
وكان الجسم منها شق مشرق من خلف أبواق الرباب
وتثنت بين أيدي صبها كقضيب فوق إكليل الهضاب
أشرق الخفر كشمس فغدا خدا يحمر من فرط الدعاب
والنسيم الطلق يجري لاثما ورد خديها ويهفو بالثياب

إن الشاعر يقدم مشهدا غزليا اجتمعت فيه كل عناصر الجمال في لوحة فنية مؤثرة تختزل التوهج العاطفي، والصدق الفني في تناغم ساحر، ثم ينتقل الشاعر إلى التعبير عن أثر هذا المشهد المرئي في أعماق وجدانه فيقول:

هيجت لي في الحشا نارا كما تركت قلبي (نوار) في اضطراب
لم تزل من دلها: كم شفني تقذف القلب بأنواع العذاب
ما ارتشفت الريق إلا زادني حر وجد من ثياها العذاب

فالشاعر يعبر عن حرقة قلبه وشعوره بالعذاب أمام هذا المنظر الخلاب لهذه الفتاة الجميلة، لأنه محروم من وصالها، تشتعل في أحشائه لواعج الشوق والشعور بالحرمان فيختم قصيدته قائلا:

نقضت عهدا به النفس قضت صبوة –كالزهر– في ري الشباب

لم أقصر في هواها ساعة كي أجازى سفها حق العتاب

فرغم أن الشاعر متمسك بحبيبته، وفي هواه إلا أن هذه الحبيبة قد نقضت عهدها له ومزقت حبل الوصال بينهما ما جعله يشعر بالأسى والألم.

إن هذه القصيدة تعد من بواكير الحركة الشعرية التجديدية في الجزائر والتي كانت قد انطلقت مع الشاعر «رمضان حمود» صاحب التوجه الرومانسي المبكر، قبل أن تكون لها تأثيرات مختلفة عند بعض الشعراء، فهذا واحد من شعراء جريدة النجاح وهو «أحمد بن يحي الأكحل» ينشر قصيدة وجدانية بعنوان «الحب والشعور»(98) جاء فيها:

ما الحب صاح وما الشعو ر بقلب صب مبتل

سرب النعام ورئله يجري كريح مجفل

وهي صورة تعبر عما يلاقيه العاشق من ألوان العذاب تجعله يشعر بالتشرد والضياع.

إن إقدام جريدة «النجاح» على نشر هذا اللون من الشعر، في زمن تسيطر عليه القيم المحافظة لهو مساهمة في تطوير المجتمع ومحاربة العقليات المتحجرة التي تعتبر التعبير عن مشاعر الحب تجاه المرأة من المواضيع المسكوت عنها.

إن المضمون الوجداني في القصائد المنشورة في جريدة النجاح لا يتوقف عند حدود ذكر المرأة والتغزل بها ووصف ما يلاقيه العاشق من عذاب في حبها فقط وإنما يتجاوز ذلك إلى وصف الطبيعة وتمجيد المدن والافتخار بسحر جمالها فهذا الشاعر «محمد الصالح خبشاش» ينشر قصيدة مطولة من واحد وأربعين 41 بيتا في وصف وتمجيد مدينته: «قسنطينة» سماها: «المدينة المنيعة»[99] مزج فيها بين أسلوب الإحيائيين والرومانسيين يقول فيها:

تلك المدينة هل في الأرض مبناها	**أو هل حوت كتب التاريخ معناها؟**
مدينة أحكم الباني لها أسسا	**مثلى وأتقن بعد الوضع أعلاها**
خطت على ذروة ما بين أهوية	**(النجم) يحرسها والشمس ترعاها**
قامت على جبل أعظم به جبلا	**بين الجبال يحوز الفخر والجاها**
(وادي الرمال) إذا أبصرته ذهبت	**أتراح قلبك حتى النفس تنساها**
ينساب في مفرق الطود العظيم وإن	**صدته عائقة بالرغم ألقاها**

فالشاعر مولع بالجمال الطبيعي والعمراني لمدينة قسنطينة، وهو يعبر عن إعجابه ويدعو المخاطب إلى مشاركته في هذا الانفعال مستعملا صيغة الأمر إذ يقول:

أنظر إلى الغابة الهيفاء كيف زهت	**لما الربيع أتى والزهر وشاها**
واهبط إلى فسحة (الريميس) كيما ترى	**تلك المناظر دوما تذكر الله**
واشخص بطرفك نحو الراس حيث ترى	**أن المدينة ذات الرجع – مثواها**

ثم يسترسل الشاعر في ذكر أمجاد قسنطينة وقيمها الحضارية والتاريخية فيمجدها ويفتخر بها وتلك ميزة وصف المدينة في الشعر الجزائري الإحيائي عموما، حيث يذكر "رماني إبراهيم" في كتابه «المدينة في الشعر العربي الجزائري» فيقول: «يتحدد وصف

المدينـة في جـانبين الأول: في اسـتذكار وتجميـع القـيم التاريخيـة والحضارية والبطولية للمكان دون الإلمام بواقعه المتعدد والنفاذ في أعماقـه الحيويـة، والثـاني في متابعـة مظـاهره الماديـة والطبيعـية أسـاسـا، ثم العمرانية عبر منظور قروي خارجي بلاغي»[100].

وإذا كـان الشـاعر «خبشـاش» قـد خلـد قسـنطينة في قصـيدته «المدينة المنيعة» فإننا نجد الشاعر «الأكحل أحمد بن يحـي» قبلـه ينشر قصيدة تترنم بمدينـة الجزائـر العاصمة عنوانها «حنيني إليها وأنيني عليها»[101] تتكـون مـن واحـد وأربعـين 41 بيتـا ونلاحـظ أنهـا متساوية تماما مع قصيدة «خبشاش». في هذه القصيدة يذكـر فيهـا الشـاعر «الأكحـل أحمـد بـن يحـي» بتـاريخ الجـزائـر العـاصمة فيمجـد قبيلـة «مـزغنة» ويتـوقـف عنـد جمال الجزائر فيقول:

(أمـزغنة) ذات المفـاخر والشـان — عليك سـلام الله أنـت وإخـوانـي
فمـا أنت إلا جنة الخلـد بهـجـة — وهم فيك جميعا مثل حـور وولـدان
بلـى جـنـة الآداب فيـك زواهـر — وفيـك عيـون مـاؤهـا كـوثر ثـان
فـاكـهة من كـل زوج بهيـجـة — ومـا تشتـهي نفس كروح وريحان
تجمع فيك الحسن جمع الزهـور في — ريـاض بـديع بالشقـائق والبـان

ونلاحـظ أن المضـمون الوجـداني في هـذه الأشـعار يختلـف عمـا بشرت به المدرسـة الرومانسية فإذا كـانت الغنائية وتوظيـف الطبيعـة موجـودتين فـإن التعبير عـن القلق والأسـى لا نجـده في هـذه الأشـعار لأنها أشعار إن جنحت إلى الوجدانية مازالت تتمثل المدرسـة الشـعرية الإحيائية.

د/ المضمون المناسباتي: نقصد بالمضمون المناسـباتي، تلك القصائد المنظومة من وحي حدث معين، يتفاعل معه الشاعر قوة أو

ضعفا، صدقا أو تكلفا، فيكتب قصيدة مرتبطة في سياقها ومضمونها بتلك المناسبة، والتي عادة ما يأتي ذكرها نثرا في مقدمة القصيدة كتوضيح من الجريدة أو من الشاعر ذاته لمحمول المعاني التي تتضمنها القصيدة.

والحقيقة أن ارتباط الشعر الجزائري الإحيائي بالمناسبات هو ارتباط له ما يبرره موضوعيا سواء بسبب تأثر هذا الشعر بالتراث الشعري العربي القديم المحكوم بما يعرف بالأغراض الشعرية من مدح وهجاء ورثاء أو بسبب الارتباط الروحي والثقافي للشاعر ذاته، فالشاعر المنتسب إلى زاوية معينة يسجل حوادث ومناسبات تلك الزاوية مثل مناسبة وفاة شيخ الزاوية فيسارع الشاعر إلى رثائه، وما أكثر ما وجدنا من قصائد رثائية لشيوخ الزوايا والطرق منشورة في جريدة النجاح، كما أن الشاعر المنتسب إلى جمعية أو تنظيم، يسارع إلى تخليد مختلف المناسبات التي تعيشها تلك الجمعية أو التنظيم، فسعد الله أبو القاسم في دراسته لمحمد العيد آل خليفة يذكر أن المناسبة هي: «أبرز ميزة في شعره، فإن أكثر من ثلاثة أرباعه كان مرتبطا بمناسبة تاريخية أو اجتماعية أو وطنية... فقد كانت المناسبة هي النبع الذي ورد منه واستحم فيه حيث عاش في الفترة الأولى مرتبطا بمنظمة معينة تؤسس وتنشئ وتجتمع وتحتفل إلخ...»[102]. وهكذا وجدنا في جريدة النجاح المدائح والمراثي وقصائد الحوادث من كل نوع فقد حظي مثلا تعيين الشيخ «محمد البشير الإبراهيمي» مدرسا بنواحي سطيف، بنظم القصائد المهللة لهذا التعيين والمباركة لوجود الإبراهيمي بين أهالي سكان نواحي سطيف كلها ومن بين المناسبات التي أذكت قرائح الشعراء نجد المناسبات الدينية كالأعياد وشهر رمضان والمولد النبوي الشريف، فهذا الشاعر «محمد منصور العقبي»

من سيدي عقبة ينشر قصيدة في ركن ديوان الأدباء بعنوان: «ذكرى المولد»(103) يقول فيها:

هل مثل أحمد أو لأحمد مشبه — في العالمين في فضله المتعالي
حاشا وكلا أن تماثله الورى — قبلا وبعد لا ولا في الحال
فلقد رأى المولى الكريم بعينه — وحباه ما لا يخطرن ببال

فالشاعر كما نرى يقدم مديحا دينيا يثني فيه على النبي محمد (ص) فيصور مكانته العالية ويهلل بعظيم شأنه، ومن القصائد المناسباتية التي اكتشفناها منشورة في جريدة النجاح واسترعت انتباهنا قصيدة للشاعر مفدي زكريا بعنوان: «مرحبا بالأكرمين»(104) جاء في مقدمتها توضيح لمناسبتها كما يلي: «رافق الأجل الخير الزكي الشيخ أحمد رئيس الزاوية التماسينية، أحد أنجال زاوية عين الماضي لبلدة القرارة في طريقه لعين ماضي ولما وصلها أكرمت وفادته ورحبت به وصادف وجود الأديب صاحب الإمضاء، فارتجل هذه القصيدة مرحبا به» ومن الواضح أن هذا التقديم التوضيحي لمناسبة القصيدة صادر عن هيئة تحرير الجريدة وليس عن الشاعر، وذلك في سبيل توجيه القارئ ولفت انتباهه للحدث الذي استوحى منه الشاعر قصيدته. يقول مفدي زكريا في هذه القصيدة:

مرحبا بالأكرمين الوافدين — مرحبا أهلا بآساد العرين
قد حللتم بلد الله الأمين — صافحتكم بفؤاد ويمين
مثلما صافح نجم كوكبا
زرتمونا مرحبا يا أحمد — عدتم والعود منكم أحمد
بسطت في الرفوف الخضر يد — للقاكم أرسلتها الأنجد
فغدت راقصة منه الربى

لا تتوا لا تهنوا لا تحــزنــوا ولصرح المجد عال فـابتـوا
وانهضوا نحو العلا لا تنثنوا عشتم وليحي هـذا الوطـن
وأعـز الله منـه العــربا

فالقصيـدة في مضمـونها العـام ترحيـب ومـدح لشيـخ الـزاوية التماسينية حيث نشير إلى أن الجريدة وبحكم ميولاتها وتوجهاتها نشـرت شـعرا كـثيرا يسجل مناسبات وحـوادث الزوايـا والطـرق وكـذا القـياد والباشـاغـوات، ولعـل أبـرز غرضـين تحلق فيهما قصائد المناسبات تلك هما الرثاء والمديح، والجريدة في كل ذلك لا تكتفي بنشـر الشعر الفصيح فحسب بل تتعـداه إلى نشـر قصـائد مـن الشـعر الشـعبي الملحـون، وكنمـوذج لـذلك قصـيدة للشـاعر «محمد عبابسة الأخضري» من بريكة قالها «بمناسبة إحـراز شيخ العرب السيد بوعزيز بن قانة على الوسام الأكبر الفرنسوي مهنئا، وقد قالها في حفلة عظيمـة أمـام رجـال الصحافة الباريسية والنـواب بقصـر بن قانة وترجمت لهم نثرا فهنـأوه عليها وأعجبوا بها ونقلوا أبياتا كـثيرة منهـا»[105] ولقـد سـار الشـاعر في هـذه القصـيدة علـى طريقـة شـعراء الملحـون في الاسـتهلال بـذكـر الله تعـالى، والـدعاء بطلب التوفيق إضافة إلى ذكـر صعوبات قـول الشـعر، قبـل الخـوض في تهنئــة الممــدوح، والثنـــاء عليــه، يقــول الشـاعــر محمــد عبابسة الأخضري:

باسمـك يا إلـه نبـــدا يا وهـاب وفقنـي بجـاه سر الجـــلالـــه
الهمـني للخبر بفتـح هـذا البـاب مدح القاني، راه كـاد القـوالــه
يا ســر يشهـاوا خوضـات العبـاب بحر القول صعيب يرمي بالجـلاله
لا يخوضوا في ابحـر واعر لبـلاب باسفـاين واحبـال رشـى منـــوالـه

هذا البحر يخوض فيه إلى جـراب يـركـب في غـواص ولا جـوالـه

يعـرف سـير بحور ميـزان ودولاب بالبوصول يزيد للشـور اقبـالـه

بحر القول اصعيب يا ناس التعتاب رايت الشعر أشعور سرو يتـلالـه

ونـاي قـديـت ميـزاني صـواب نمدح سيد انجـوع زين النحمـالـه

وبعد هذه المقدمة التي أبرز فيها الشاعر صعوبات قول الشعر وافتخاره بامتلاك قريحته وأدواته، ينتقل إلى تهنئة الممدوح والثناء عليه فيخاطبه قائلا:

ندعيلك بالخير يعلا بيك اركـاب في الدولة واتغيض دوك الختـاله

قوم الحاسدين يهواهم مشـهاب واش يضر نبيح الكـلاب الهاله

يـا رب بســرار تبـيان الكـتـاب خل هذا البيت تضوى شعـالـه

علـها يـا خـالقـي وأنـت غــلاب تبـق نجمـه ضـاوية للـرحـالـه

فالقصيدة كما نرى جميلة في أساليبها ثرية في معانيها، ورغم أنها قيلت في مناسبة محددة إلا أنها مازالت تحتفظ بقيم فنية وجمالية تضاف إلى حركة الشعر الملحون، والذي أوجدت له الجريدة فضاء في صفحاتها فنشرته وشجعته، وخاصة إذا كان هذا الشعر يتماشى وتوجهاتها مثل القصيدة السابقة الذكر. وإن تفاعل الشعر الذي تنشره الجريدة مع الحوادث والمناسبات لم يقتصر على ما يجري داخل الجزائر فقط، بل تعداه إلى ما يحدث في العالم فهذا الشاعر «محمد الصالح خبشاش» يستوحي من مناسبة عيد رأس السنة الميلادية قصيدة يحملها تصوراته وتنبؤاته لمصير الحوادث العالمية فجعل لها العنوان التالي: «تنبؤات لسنة 1938»[106] وهي السنة السابقة لانطلاق الحرب العالمية الثانية 1939 – 1945. وقد وقعها بكنيته «الوطني الصميم» يقول فيها:

أقبلـت أدبـرت فلا تستقـر تلك أعـوامنا سـراعا تمـر

هذه سنة الحوادث جاءت | تحمل الغيب شأنها مسطر
فبأحشائها تبدت خطوب | وبأخشائها أمور تسر
فكأنك والدلائل حلت | بأوروبة جوها مكفهر
فتن خيمت على كل شعب | وستبدو وليس منها مفر

فبعد أن يرصد الشاعر صورة الاضطراب والفتن -كما قال- التي يشهدها العالم، ينتقل إلى قراءة تنبؤاته في سير تلك الحوادث فيقول:

ولبرلين وثبتة ولرومه | صولة تخشى وللدهر مكر
وانقلاب مرجع في مبادى | بالبلاشف والحليف يضر
وحروب لدولة الصين تنهى | بسلام وليس للصين ضر

هكذا يرى الشاعر قوة ألمانيا وانحسار المد الشيوعي ثم إحلال السلام في الصين، أما بخصوص العالم العربي والإسلامي فإن قراءته كانت كما يلي:

وفلسطين لن تمس بسوء | رغم ما قد بدا ولله سر
والدعاية لاجتلاب قلوب | نحو عنصرنا بها لاح فجر
وسيبدو على الجزائر يا ذا | عمل آخر ويفتر ثغر
وأرى قوة لجيش فرنسا | سار مع سيره إلى الخصم نصر
ولفاروق مركز واعتبار | ولسلطان غربنا ما يسر
وأرى الشرق مسرحا لحروب | والمطامع أمرها قد يغر
واعلموا أن في الغيوب عظاما | واعلموا أنه سيظهر أمر

الملاحظ أن تنبؤات الشاعر قد أصابت في أشياء وأخطأت في أخرى، وبغض النظر عما فيها من صواب وخطأ فإن هذه القصيدة تكشف عن عمق الوعي السياسي عند الشاعر وإدراكه للمحيط

من حوله، وتفاعله مع مختلف المناسبات، ما يجعل الشعر الجزائري الإحيائي عموما سجلا أمينا لنواحي الحياة وحوادثها الكبيرة والصغيرة، وإن قراءة مثل هذه الأشعار تحتاج منا إلى وضعها في السياق أو المناسبة التي قيلت فيها ويبدو أن جريدة النجاح من حيث كونها جريدة إخبارية تحاول تغطية مختلف الحوادث الداخلية والعالمية، قد سعت إلى استثمار القصائد الشعرية أيضا لتكون سجلا مخلدا لتلك الحوادث والمناسبات.

2- خصائصه الفنية:

إذا استبعدنا دراسة النصوص الشعرية العربية التي كانت تنشرها جريدة النجاح من حين لآخر لإمتاع القراء وتحفيز الشعراء، فإن النصوص الشعرية الجزائرية المنشورة في هذه الجريدة لا تختلف بوجه عام عن النص الشعري الجزائري المكتوب في تلك الفترة، وذلك لأن الكون الشعري الذي تسبح فيه مختلف المواهب والقرائح كون جزائري واحد قد تختلف الأقلام في جزئياته البسيطة لكنها تتقاطع في خصائصه الفنية العامة حيث يذكر "ناصر محمد" «أن كل الذين درسوا تطور الحركة الأدبية في الجزائر متفقون على أن البداية الحقيقية لها إنما ترتبط برباط وثيق ببداية الحركة الإصلاحية، وأن الحداثة في الشعر الجزائري بمفهومها الصحيح، إنما تبدأ في هذه الفترة لا قبلها»[(107)].

وإذا وضعنا في الاعتبار أن جريدة النجاح هي أول جريدة في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية وأنها انطلقت إصلاحية منذ تأسيسها في أوت 1919، وأنها احتضنت مختلف أقلام التيار الإصلاحي

لأزيد من عشر سنوات قبل أن تحيد عن توجهها، فإن ذلك يجعلها أول صحيفة احتضنت الحركة الشعرية الحديثة في الجزائر، وهذا عكس ما ذهبت إليه كثير من الدراسات(108).

لقد تأثر الشعر الجزائري الحديث بتوجهات مدرسة الإحياء، وتشرب من المنابع المشرقية بمصر خاصة، كما تشرب من المنابع الزيتونية بتونس، كما تأثر أيضا بالمذاهب الغربية بحكم إتقان بعض الشعراء الجزائريين للغة الفرنسية إضافة إلى امتلاكهم ناصية التعبير باللغة العربية الفصحى وهذا ما ينطبق على كثير من الشعراء الذين نشروا قصائدهم في جريدة النجاح وكنموذج لذلك قصيدة «الغروب» للشاعر أبي إلياس وهي ذات توجه وجداني رومانسي، هذا دون أن ننسى تأثيرات الثقافة السلفية فبعض الشعر الذي تسوقه جريدة النجاح يمجد الزوايا ويشيد بالطرقية وهذا على العكس تماما من الشعر الذي تسوقه جرائد التيار الإصلاحي فيما بعد كالمنتقد والشهاب فهو شعر يهاجم الطرقية ويمعن في السخرية من بدعها وخرافاتها وإذا كانت جريدة النجاح -بعد الثلاثينيات- تنشر القصائد في مدح القياد والباشاغوات وبعض الساسة الفرنسيين فإن جرائد التيار الإصلاحي لا تنشر مثل هذا الشعر بل ولا تتورع في مهاجمة الاستعمار ولو تلميحا في مراحل أولى وليس تصريحا.

ونضيف إلى كل هذه المؤثرات، التأثير الشعبي فقد رأينا جريدة النجاح تنشر قصائد الشعر الملحون اهتماما منها بالثقافة الشعبية وتشجيعا لهذا اللون من الشعر. وفي الوقت الذي بدأت فيه حركة شعر التفعيلة تجد طريقها إلى المشهد الشعري الجزائري فإننا

لا نجد فيما عايناه من أرشيف جريدة النجاح أية قصيدة منشورة فيها بقالب شعر التفعيلة، فالقالب الشعري المسيطر على النصوص هو الشكل الخليلي، إلا بعض القصائد التي تحاكي في إيقاعها العروضي نموذج الموشحات الأندلسية مثل قصيدة مفدي زكريا التي أشرنا إليها سابقا، والملاحظ هو تحكم النص الشعري المنشور في جريدة النجاح في الوزن والقافية وما تقتضيه الصنعة العروضية والموسيقية، فرغم أن الجريدة تنشر القصائد المطولة والتي تتجاوز عدد الستين 60 بيتا إلا أنه يندر على الدارس أن يجد فيها اختلالات عروضية أو إيقاعية. وإن ما يقال عن عروض الشعر يمكن أن يقال عن اللغة الشعرية، فهي لغة فصيحة سهلة متداولة تخلو من الغريب والحوشي، كما أنها لغة معبرة وسليمة من حيث التراكيب النحوية والصرفية ولا غرو في ذلك فأغلب الشعراء من ذوي الثقافة العربية الإسلامية التي تنظر إلى اللغة العربية نظرة تقديس باعتبارها لغة القرآن الكريم. غير أن لغة الشعر نجدها متفاوتة من شاعر إلى آخر ومتطورة من جيل إلى جيل فهي عند جيل العشرينيات والأربعينيات معجمية تؤدي اللفظة فيها معناها القاموسي المعروف لكنها عند جيل الأربعينيات والخمسينيات موحية قد تخرج عن معناها المعجمي إلى معان سياقية جديدة وفي ذلك يؤكد "ناصر محمد" قائلا: «إن اللغة الشعرية في هذه التجارب عرفت هي الأخرى تطورا واضحا فمن التعامل مع اللغة من جانبها المعجمي الدلالي، مع جيل العشرينات والثلاثينات، إلى التعامل مع اللغة من جانبها الإيحائي مع جيل الأربعينات والخمسينات... وكان للغة الشعرية مع كل اتجاه خصائصها

التي تتميز بها، فقد تميزت بالجزالة والفصاحة عند المحافظين وتميزت بالرقة، والهمس والشفافية عند الوجدانيين»[109].

لكن التطور الذي شهدته اللغة الشعرية لم يؤثر على تطور الأساليب المستعملة، فقد بقيت التقريرية والنغمة الخطابية مسيطرة على أغلب النصوص الشعرية فاتسم التصوير بالضعف وجاء الخيال هزيلا فكانت القصائد مباشرة همها أن تقول المعنى ولا يهمها أمر كيف تقول ما تقول، فغلب عليها التصريح وغاب التلميح، اللهم إلا محاولات محتشمة من بعض الشعراء الوجدانيين الذين اهتموا قليلا بشأن الصورة الشعرية.

2/ علاقتها بالتيار الإصلاحي:

لقد رأينا أن جريدة النجاح حتى وإن قدمت نفسها في إطار كونها جريدة إخبارية حرة، فإن استقلالها عن مختلف تيارات وأحزاب وتنظيمات الحركة الوطنية، لم يمنعها من إنشاء وتعبيد جسور قوية مع التيار الإصلاحي الذي مثلته فيما بعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس –رحمه الله– الذي كان أحد مؤسسي هذه الجريدة وكتب فيها عدة مقالات نشرت باسمه الحقيقي أو باسم مستعار هو "العبسي" كما ذكر ذلك الشيخ حماني أحمد وكذلك "ناصر محمد"، وعايناه بأنفسنا من خلال اطلاعنا على أرشيف السنوات الأولى من صدور هذه الجريدة، حتى أن الكثير من رموز جمعية العلماء وقعت حضورها أيضا بالكتابة فيها على غرار العربي التبسي وتوفيق المدني ومحمد الأمين العمودي حيث يقول عنه السائحي في تقديمه: «الشيخ العمودي الطويل القامة، المعروق الوجه، العميق النظرة، اللبق الحديث، البارع النكتة لم يكن يكتفي بالمقالة يحبرها لجريدة النجاح»[110] ولقد تجاوز الأمر حضور هذه الأسماء وغيرها من الإرادات الإصلاحية إلى أن طاقم الجريدة وهيئة تحريرها ذاتها كانت تتبنى المنهج الإصلاحي في السنوات الأولى من إصدار الجريدة حيث نجد في أرشيفها عشرات المقالات الافتتاحية ذات التوجه الإصلاحي بتوقيع كل من عبد الحفيظ بن الهاشمي مدير الجريدة وصاحب امتيازها وكذلك مامي إسماعيل رئيس قلم التحرير، وهي مقالات تدعو إلى الإصلاح الديني مثلما كتبه عبد الحفيظ بن الهاشمي بعنوان: «اقتراح جبهة دينية»[111] كما تدعو

إلى الاهتمام بالإسلام مثلما كتبه مامي إسماعيل بعنوان: «إهانة الديانة الإسلامية وإهمالها»[112] ويبدو أن "ناصر محمد" قد أحسن الوصف في تعريفه الموجز لهذه الجريدة إذ ذكر: «النجاح، قسنطينة، عبد الحفيظ بن الهاشمي، إصلاحية ثم انتفاعية»[113]. من خلال هذا التعريف الموجز نستطيع أن نستنتج عدم وفاء جريدة النجاح لخطها الإصلاحي حيث انقلبت بداية من الثلاثينات إلى جريدة انتفاعية تقدم المصالح الشخصية لفريقها على المصلحة العامة للأمة، فارتمت بذلك بين أحضان الإدارة الفرنسية، وصارت تحصل على الدعم المادي من الصندوق الأسود ومن اشتراكات البشغاوات والقياد وعلى الدعم المعنوي إذ أصبح صوتها يعلو ويناوش مختلف تيارات الحركة الوطنية فناصرت الطرقيين وزكت خياراتهم حيث ذكر "حماني أحمد" هذا النهج الجديد الذي تبنته جريدة النجاح فقال: «ولم تكن نصرتها للزوايا والخرافات والمشائخ إيمانا بهم، واحتراما لهم ولكنها قاومت بذلك بوادر النهضة الوطنية، والإصلاح الديني إرضاء للإدارة الاستعمارية وخضوعا للتعليمات العليا، وبلغت في تطورها إلى حد الإسفاف وسدرت في غوايتها إلى النهاية»[114]. لقد أصبحت هذه الجريدة منبرا إعلاميا يأتمر بأوامر الاستعمار وينفذ توجيهات سياسييه وعرابيه ما جعل الباحث الجزائري "إحدادن زهير"[115] يحدد أربعة أصناف للصحافة الجزائرية قبل الاستقلال هي: الصحافة الحكومية –صحافة أحباب الأهالي– الصحافة الأهلية – الصحافة الوطنية (الاستقلالية) – وفي شرحه لهذه الأصناف الأربعة وتوزيع الصحف الجزائرية عليها حسب مواقفها فإنه يخلص إلى أن جريدة النجاح صحيفة حكومية تشرف عليها الحكومة

الفرنسية بواسطة إقامة توجيه سياسي مستمر وفي تغطية النفقات بتقديم إعانة مالية معتبرة لصاحبها والمشرفين عليها.

لقد أعلنت جريدة النجاح الحرب على التيار الإصلاحي بحيث أنها تبنت سياسة الإدماج وراحت ترسخ فكرة الجزائر فرنسية وذلك سواء بإبراز جهود الإدارة الفرنسية في تحسين حياة المواطنين، و إظهار الزيارات والإنجازات، أو بتشويه القوى المعادية للسياسة الاستعمارية. إننا نجد عدة نماذج لذلك في مختلف أعداد أرشيف،[116] سنة 1930م حيث نلاحظ تركيزا على إبراز مظاهر الاحتفالات الفرنسية بمناسبة مرور مائة 100 عام على احتلال الجزائر، ففي عدد 995 ليوم 05 أوت 1930 نقرأ في افتتاحية الجريدة موضوعا كبيرا بعنوان: «الاحتفالات بمرور قرن على الجزائر» وفي اليوم الموالي 06 أوت 1930 عدد 996 نقرأ موضوعا آخر بعنوان يكاد يتشابه مع سابقه وهو: «الاحتفالات بمرور مائة عام على احتلال الجزائر» مع نشر صورة كبيرة لرئيس فرنسا وهو يصافح وجهاء الأمة ويتلقى دعمهم وتواصل الجريدة تركيزها على إظهار هؤلاء الوجهاء من أبرز أعيان وأثرياء الشعب الجزائري، فنقرأ سلسلة مواضيع حول منح الحكومة الفرنسية وسام الاحترام لهؤلاء الوجهاء ابتداء من عدد 1011 ليوم 27 أوت 1930.

إن الجريدة لم تتوقف عند حدود التطبيل والتزمير للسياسة الاستعمارية، بل تعدته إلى الحديث باسم الشعب الجزائري، وبالتالي الرد على طروحات التيار الإصلاحي، الذي يبدو أنه انزعج كثيرا من الخرجات الغريبة لجريدة النجاح فخصص لها موضوعا

بعنوان: «حكم الأمة على جريدة النجاح» قال فيه الأستاذ الطيب العقبي رئيس تحرير البصائر: «أخذت ترد علينا من نواحي القطر كلمات ورسائل تتضمن الحكم على هذه الجريدة (يعني النجاح) التي أبت إلا سلوك سبيل غير المؤمنين وإتباع صراط المغضوب عليهم والضالين... إذ لا يجدر بنا أن نتغاضى كل التغاضي عمن حارب الله ورسوله وحارب الأمة في رجالها والوطن في زعمائه».

ثم يورد الطيب العقبي نص رسالة القارئ الغاضب على توجهات جريدة النجاح ومما ورد في تلك الرسالة: «فالبصائر طيبة والطيبات للطيبين، أما الورقة الخؤونة [يعني النجاح] فلا نحكم عليها بشيء لأن خيبة سياستها، وإخفاقها أينما توجهت تكفينا ولله الحمد حتى أن النصر صار حليف من تريد هذه الورقة [يعني النجاح] خذلانه، فلا غرابة أن تكون مسيلمة وقتها كما أنه يكفينا في أهلها توبيخ ضمائرهم لهم إن كانت لهم قلوب طاهرة أما إذا كانوا من الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم فلهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم»[117].

إن هذا المقال يكشف المضايقات التي تعرض لها التيار الإصلاحي على يد أسرة تحرير جريدة النجاح التي كانت تتوفر على دعم سياسي ومالي ونفوذ قوي مكنها من الظهور بوجه المنبر الإعلامي المعبر عن تطلعات الأمة وحاجاتها ورغباتها ولعل النموذج التالي لبعض المقالات الافتتاحية التي نشرها مدير الجريدة وصاحب امتيازها: عبد الحفيظ بن الهاشمي في أعداد سنة 1937 يعطي فكرة عن توجهات جريدة النجاح[118] لسنوات الثلاثينات التي شهدت بالمقابل تصاعد قوة جمعية العلماء ومختلف تيارات الحركة الوطنية.

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الملاحظات
دعونا نحسن الظن بكم — أيها الخائفون من الأوهام.	عبد الحفيظ بن الهاشمي	1937/01/06	1943	سياسة الإدماج.
شعب الجزائر يحسن الظن بالوزارة.	عبد الحفيظ بن الهاشمي	1937/01/10	1945	قانون التجنيس.
إنما تفرقنا لأننا نحب الظهور.	عبد الحفيظ بن الهاشمي	1937/01/20	1949	صراع الشخصيات الجزائرية ومواقفها من الإصلاحات الأهلية.
خدمة الشعب بالأبحاث العلمية والتعريب.	عبد الحفيظ بن الهاشمي	1937/02/10	1958	الدعوة إلى طلب العلم وبيان أهمية الترجمة.
يجب أن نفكر في رفع الأمية.	عبد الحفيظ بن الهاشمي	1937/02/12	1959	مما ورد فيه: إذا ذممنا الجهل فلم نزده على ما فيه من الذم فحسبه أنه ظلام الشعوب وأنه خطر الحياة وأنه الوصف المستنكر للنفوس.
توسيع نطاق التعليم الرسمي أمر تدعو إليه الضرورة اليوم.	عبد الحفيظ بن الهاشمي	1937/06/04	2000	الحث على تعليم الأبناء في المدارس الفرنسية وليس المدارس الحرة.

إن قراءة هذا النموذج بتمعن تحيلنا إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات أهمها أن عبد الحفيظ بن الهاشمي يستعمل في خطابه ضمير المتكلمين، فكأنما الرجل وصي على الأمة الجزائرية مثل «دعونا نحسن الظن» ثم يجيب في مقال آخر وباسم الأمة دائما «شعب الجزائر يحسن الظن بالوزارة» ثم يرفع نفسه إلى مستوى الشخصيات المرجعية الكبرى فيدعي «إنما تفرقنا لأننا نحب الظهور» وهكذا، أما الملاحظة الثانية فهي قيادته لسفينة

نشر العلم والتعليم وكأنه الوزير المفوض فيختار عنوان «يجب أن نفكر في رفع الأمية» ثم يلمح إلى رفض التعليم في المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء ويدعو إلى توسيع نطاق التعليم الرسمي. ويمكن أن نضيف ملاحظة ثالثة تتمثل في عمق ثقافة عبد الحفيظ بن الهاشمي وقدرته الفائقة على تمرير رسائله دون ضجيج كبير وكأنه لا يبالي تماما بالأصوات الأخرى، وهذا ربما على العكس من رئيس قلم التحرير: «مامي إسماعيل» الذي كثيرا ما يرفع عقيرته ويسخر من طروحات أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث يذكر "حماني أحمد" غرور مامي إسماعيل وصداماته العنيفة مع الشيخ عبد الحميد بن باديس فيقول «وبلغ الغرور بالسيد مامي –عفا الله عنه– أن صار يسخر أحيانا بالشيخ ابن باديس ويخترع على لسانه محاورات، فبلغ السيل الزبا، واشتد غيظ الشهيد أحمد بوشمال ولم يملك نفسه ذات يوم –1938م– أن ارتمى عليه في نهج تجاري مزدحم وأعطاه (طريحة) حوكم من أجلها وحكم عليه بأربعمائة فرنك، وكانت كافية لكفه النهائي عن التعرض لشخصية الشيخ ابن باديس بسوء حتى مات رحمه الله»[119] ومما نستشفه من هذا القول أن الصراع والصدام بين أسرة جريدة النجاح والتيار الإصلاحي قد بلغ ذروته وتطور من فضاءات السجالات الفكرية وربما الملاسنات الكلامية إلى لغة العنف وتبادل اللكمات، والوقوف في المحاكم وهي صورة تعكس حالة القطيعة والعداء الشديد بين الطرفين، ومما يذكره "حماني أحمد" أيضا أن تلك (الطريحة) كما ورد في تعبيره قد عادت بنتائج إيجابية حيث كفت النجاح فيما بعد عن التعرض بالسوء لابن باديس وحتى للثورة التحريرية لما اندلعت ومما يسجله "حماني أحمد" من أقوال على لسان مامي إسماعيل قوله: «لا أريد أن أموت كالكلب في أزقة قسنطينة»[120].

3/ مواقفها من السياسة الاستعمارية

في مقاله الافتتاحي المنشور بجريدة النجاح، ليوم 06 أوت 1926، واحتفالا بمرور سبع سنوات على صدور الجريدة، كتب مديرها وصاحب امتيازها «عبد الحفيظ بن الهاشمي» مقالا تحت عنوان «النجاح في سنته السابعة» ومما ورد فيه قوله: «والنجاح إذا سار في سبيله المعلوم ومبدئه الراقي وأفكاره الحرة التي لم تعمل فيها الأيام والليالي ولم تحولها عن مركزها صروف الدهر وحوادث الزمن فإنما هو الثابت الرزين الذي لا ينوي للشعب إلا إصلاحا ولا للدين إلا انتصارا ولا للعلم إلا انتشارا ولا للأدب إلا رواجا ولا للقومية إلا قوة ولا للفكر إلا استنارة ولا للكمال إلا ازديادا ولا للشباب إلا تقدما ولا للضعيف إلا حماية وهكذا وهكذا»[(121)].

إن القارئ المتمعن لهذا المقتطف من المقال يكتشف جملة من الالتزامات التي أعلنتها جريدة "النجاح" على لسان مديرها وصاحب امتيازها، وهي التزامات أقل ما يقال عنها اندراجها في التوجه الإصلاحي وتطلعها للعب دور مركزي في الحركة الوطنية الجزائرية، وهو الالتزام الذي أعلنته هيئة تحرير الجريدة منذ صدورها سنة 1919. غير أن تحديد مواقفها من السياسة الاستعمارية لا ينبغي أن يتوقف بنا عند ما أعلنته الجريدة من النوايا والوعود والتعهدات حيث أن عودتنا إلى أرشيف الجريدة واستخلاصنا لمختلف مواقفها انطلاقا مما تعلنه أو تخفيه بطريقة المعالجة للحوادث كشف لنا بما لا يدع أي مجال للشك زيف التزامات «عبد الحفيظ بن الهاشمي» فيما ذكره من تعهدات في مقاله السابق الذكر، فالجريدة منذ سنة 1930 تحولت إلى منبر إعلامي يبشر بطروحات الاستعمار الفرنسي، ويقدم صورة

متكاملة عن «جزائر فرنسية» تسير بخطى ثابتة في تجسيد سياسة الإدماج فهي لا تمتدح السياسة الاستعمارية فحسب، ولكنها إضافة إلى ذلك تناوش الطروحات الإصلاحية وتشوه سمعة رموز الحركة الوطنية، فكانت بحق جريدة ناطقة باسم الإدارة الفرنسية وكل من سار في ركبها من القياد والبشغاوات والطرقيين وغيرهم.

إننا يمكن أن نستخلص المواقف السياسية لجريدة النجاح من خلال تبيان طريقتها في تناول ثلاث محطات تاريخية في مسيرة كفاح الشعب الجزائري وهي: مجازر 08 ماي 1945 في كل من سطيف، قالمة وخراطة ثم طريقة معالجتها الإعلامية لانطلاق ثورة أول نوفمبر 1954، وأخيرا هجومات 20 أوت 1955 وهي محطات تقطع بشأنها جهيزة قول كل خطيب كما يقال.

بالنسبة لمجازر 08 ماي 1945، وعند تصفحنا لجريدة النجاح الصادرة ذلك اليوم[122] لاحظنا أولا أن الجريدة أصبحت تطبع في ورقة واحدة بصفحتين من الحجم الصغير وبطباعة رديئة وأنها لم تتناول شيئا يخص الأوضاع الداخلية في الجزائر، ونفس الشيء يقال عن العدد الموالي الصادر في 12 ماي 1945 حيث تناول موضوعا رئيسيا بعنوان «انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء الباهر»[123] كما نقلت الجريدة مقاطع من خطب رؤساء الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، ولم تلتفت الجريدة إلى المجازر الدامية التي ارتكبت في حق آلاف الشهداء الجزائريين –رحمهم الله– يوم 08 ماي 1945 إلا بعد مرور أسبوع كامل عن تلك المجازر أي في العدد الصادر يوم الثلاثاء 15 ماي 1945 وبموضوع فرعي منشور في الصفحة الأولى تحت عنوان: «حوادث سطيف الدامية – رجوع الأمن التام إلى المدينة وناحيتها»[124].

ونقرأ في الموضوع استصغار الجريدة لتلك المجازر التي تسميها هي «حوادث» ثم تتهم بعض المشوشين بالتسبب فيها وتذكر تعبير السكان عن أسفهم وإعلانهم الارتباط بفرنسا، وتختم الموضوع بنشر بيان [مزور أكيد] باسم سكان بلاد القبائل الكبرى، يعلنون فيه ارتباطهم بفرنسا.

والملاحظ أن الجريدة ركزت على ذكر نهاية الحوادث كما قالت ولم تتوقف عند وصف ما وقع على الأقل. وفي نفس الاتجاه صدر العدد الموالي ولا نجد فيه إلا موضوعا صغيرا بعنوان: «انتهاء الحوادث الأليمة بدائرتي قالمة وسطيف»[125] ذكرت فيه عودة الحياة الطبيعية وأن تلك الحوادث قد صارت نسيا منسيا ونلاحظ أنها لم تتعرض إلى «خراطة» نهائيا ولم تذكر «قالمة» إلا بعد مرور تسعة أيام، ثم لا نجد فيما يلي من أعداد الجريدة أي حديث عن مجازر بشعة ارتكبها الاستعمار الفرنسي الغاشم في حق الآلاف من الشهداء الأبرياء. إن هذا يشكل تعتيما إعلاميا ما بعده تعتيم، كما أنه يعد تسترا على جرائم ضد الإنسانية لم تكن حتى للجرائد الفرنسية الشجاعة في التغطية عليها ولكن جريدة النجاح فعلتها مع سبق الإصرار والترصد.

وإذا كانت مجازر 08 ماي 1945 قد طورت قناعات التيار الاستقلالي في الجزائر وحرضته أكثر على النضال وترقية أساليب الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي، فإننا نلاحظ على النقيض من ذلك استمرار جريدة النجاح في خدمة أهداف الاستعمار ورعاية مصالح أذنابه، والجدول التالي لنموذج المواضيع الرئيسية المنشورة سنة 1952 يعطي صورة واضحة عن توجهات الجريدة[126].

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الملاحظات
وفاة الباش آغا أحمد بن علي الشريف رئيس زاوية شكلاطة بالعزيب.	دون توقيع	1952/01/05	3965	الزوايا والطرقية
رزية عظمى في الزوايا القبائلية: المربي النصوح القدوة الشيخ محمد بن سحنون يسير إلى رحمة الله.	دون توقيع	1952/02/02	3973	الزوايا والطرقية
مظاهر محسوسة لاعتناء الدولة الفرنسية برفع مستوى حياة سكان القطر الجزائري.	دون توقيع	1952/03/22	3987	جهود فرنسا في نهضة الجزائر
مدينة قسنطينة تستقبل – م – طامبل وزير المحاربين القدماء استقبالا شيقا – الأخوة الفرنسية الإسلامية للمحاربين القدماء تتجلى في أعلى مظاهرها.	دون توقيع	1952/05/07	4000	سياسة الإدماج
الاجتماع العام للقياد: نقابة قياد المصالح المدنية للجزائر.	دون توقيع	1952/05/24	4005	تفعيل دور القياد
ترقيات رؤساء الأهالي ترقيات قياد.	دون توقيع	أعداد أوت 1952	ابتداء من 4030	تفعيل دور القياد
بمناسبة مؤتمر شيوخ مدن الجزائر مدينة سكيكدة تستقبل وفدا من شيوخ مدن فرنسا وأحواز أوربا استقبالا شيقا.	دون توقيع	08 أكتوبر 1952	4040	ربط الجزائر بفرنسا
مشايخ مدن القطر الجزائري يفتحون مؤتمرهم الثاني في قسنطينة بمشاركة مشايخ أحواز فرنسا وأوربا، تحت إشراف سمو الوالي العام ينوه بمزايا المتصرفين البلديين.	دون توقيع	11 أكتوبر 1952	4041	ربط الجزائر بفرنسا

إن هذا النموذج كما هو واضح يعطي دلالات عن توجهات الجريدة ويكشف عن مواقفها الموالية للسياسة الاستعمارية، فهي جريدة تناصر الطرقية وتمتدح جهود فرنسا في نهضة الجزائر وتتبنى سياسة الإدماج وتعترف بسلطة القياد وصفوة القول فإنها تؤكد على ربط مصير الجزائر بفرنسا.

غير أن صورة جريدة النجاح تتجلى أكثر من خلال تحليل موقفها من ثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة: حيث ينكشف موقفها من خلال إبراز طريقة رصدها ومعالجتها للهجومات المظفرة التي نفذها المجاهدون الأشاوس ليلة أول نوفمبر 1954 على ثكنات ومراكز جيوش الاحتلال الفرنسي.

لقد عدنا إلى أرشيف جريدة النجاح الصادر في شهري نوفمبر وديسمبر 1954 وأجرينا معاينة وتحليلا لمختلف الأعداد. ولاحظنا أن الجريدة مطبوعة في ورقة واحدة من صفحتين في حجم كبير بسبعة أعمدة وقد دون في أعلاها أنها تصدر يومين في الأسبوع وتباع بخمسة عشر فرنكا، كما لاحظنا جودة الطباعة والإخراج بالصور.ففي عدد السبت 30 أكتوبر 1954 تحدثت الجريدة عن العلاقات الجديدة الاقتصادية والثقافية بين فرنسا وألمانيا الغربية[127] كما تحدثت عن تدشين أول مركز لاستقبال مسلمي إفريقيا الشمالية، إضافة إلى مواضيع فرعية عامة، أما العدد الموالي والصادر يوم الأربعاء 03 نوفمبر 1954 فقد تناول المواضيع[128] الآتية في الصفحة الأولى:

- المولد النبوي الشريف: عيد الرحمة والتسامح.
- المنظمات اليهودية الأمريكية تبعث بمذكرة إلى حكومة الولايات المتحدة بشأن سياستها في الشرق الأوسط.

- موقف الإخوان المسلمين من «خطبة» الجمعة في الصلاة الجامعة
– الشيخ الباقوري يشرح أسباب توحيد «الخطبة» في مساجد الجمهورية المصرية.
- أخبار عن مصر:
  - سفير فرنسا الجديد بمصر.
  - محاولة اغتيال الكولونيل جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية.

أما في الصفحة الثانية فإننا نقرأ المواضيع التالية:
- الإسلام يأمر بالرفق بالحيوان.
- حوادث داخلية:
  - تسمية باش عدل.
  - انتقال أعوان شرعيين.
  - رؤساء الأهالي: ارتقاء قياد.
  - إعلانات صادرة عن محكمة آريس: بيع بالمزاد.
  - المسيلة: تهنئة بمولود.
  - زمورة (عمالة قسنطينة) وفاة العالم بن داود.

إننا نلاحظ تعتيما كاملا على هجومات أول نوفمبر 1954، فالقارئ للجريدة يشعر وكأن البلاد تعيش وضعا طبيعيا، ونلاحظ أيضا تركيز الجريدة على أخبار مصر، وكان يجب على القارئ انتظار صدور العدد الموالي يوم السبت 06 نوفمبر 1954 ليجد ذكرا لثورة نوفمبر 1954 ولنتصفح معا مواضيع هذا العدد[129] كما وردت بالترتيب في الصفحة الأولى:

- على هامش الحالة الدولية: سفر رئيس الحكومة الجامعية الألمانية إلى واشنطن.
- إمبراطور الحبشة ينزل ضيفا على باريس.
- السودان: مقاومة الشيوعية.
- شرق الأردن: استثمار البحر الميت.
- المخطوطات العربية القديمة: بعثة لليمن والمملكة السعودية لجمعها.
- صوماليا: اللغة العربية تصبح رسمية في صوماليا.
- حوادث مؤلمة: تنشب في القطر الجزائري:
  - سلسلة اعتداءات يذهب ضحيتها أبرياء.
  - النواب يوجهون نداءات للهدوء.

أما في الصفحة الثانية من نفس العدد فإننا نقرأ المواضيع الآتية بالترتيب:

- مدير مكتب –م– ميتران وزير الداخلية في الجزائر.
- دراسة مشكل الحدود في سوق أهراس.
- ضحايا زلزال الأصنام.
- أنباء العالم: الحكومة السورية.
- مجلس الجامعة العربية يهنئ مصر بتوقيع الاتفاق الإنجليزي المصري.
- حوادث داخلية: المولد النبوي الاثنين القادم.
- رؤساء الأهالي: ارتقاء قياد «عمود كامل بأسماء القياد».
- المسيلة: قران ميمون: زواج الأديب السيد عبد الحميد نجل الفاضل البود يلمي.

- الإشهار: «عمودان طويلان»: دواء أسبرو – القرعة الجزائرية [اللوطو] – سجائر ميليا الجزائر –بحث في فائدة العائلات– الولية بودار وناسة بنت رابح تبحث عن زوجها عديم اللقب صالح بن محمد.

إننا نلاحظ أولا زخم المادة الإعلامية، كما نلاحظ دهاء هيئة تحرير الجريدة في تمرير خبر اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة، حيث نشرت الموضوع في الجهة اليسرى وعبرت عنه بعنوان كبير «حوادث مؤلمة» وأوردت الخبر كما يلي:

«ليلة فاتح نوفمبر الحالي نشبت حوادث خطيرة في مختلف أنحاء القطر الجزائري وخاصة منه عمالة قسنطينة (آريس وباتنة وخنشلة وبسكرة) وقد قامت بهذه الأعمال الإرهابية المجرمة جماعات صغيرة –غير أنهم بلغوا بعض أهدافهم من التخويف والتنكيل والترهيب وإراقة الدماء– وقد ذهب ضحية نشاطهم الهدام أبرياء فاجأتهم الموت على غير موعد ولا انتظار واتخذت تدابير مستعجلة على يد سمو الوالي العام م. روجي ليونار وجعل وزير الداخلية رهن إشارته قوات شرطة إضافية لحفظ الأمن، ويظهر أن الهدوء قد عاد إلى نصابه وأن الاطمئنان يسود من جديد جميع السكان».

ومن الواضح أن هيئة تحرير الجريدة قد اجتهدت في انتقاء الكلمات والعبارات فقد وصفت الهجومات بالاعتداءات الإرهابية المجرمة ووصفت المستهدفين بالأبرياء وختمت الخبر بالتأكيد على أن الهدوء والاطمئنان قد عاد وأصبح يسود جميع السكان، بمثل هذا الدهاء أخرت جريدة النجاح الحديث عن اندلاع ثورة نوفمبر لمدة ستة أيام كاملة، وعندما تناولتها عمدت إلى التعتيم عليها

واختصارها ثم إنهائها بسرعة. إننا يمكن أن نتصور بأن الجريدة قد عقدت اجتماعات مطولة ومشاورات موسعة قادتها إلى تقديم الخبر بالصيغة التي ذكرنا آنفا ثم أردفته في نفس العدد والصفحة بنشر «بلاغ من نواب عمالة قسنطينة» يعبرون فيه عن «اغتياظهم أمام الأعمال الإرهابية الدامية التي وقعت في العمالة»[130].

وقد نشرت الجريدة أسماء الموقعين من النواب بالمجلس الوطني ومجلس الجمهورية والمجلس الجزائري. كما نشرت موضوع «اجتماع أعيان قسنطينة بدعوة من الحكيم بن جلول لاستنكار مظاهر العسف ويرجون أن يسود السلم والوئام في هذا البلد بين جميع العناصر من المسلمين والفرنسيين»، وختمت الجريدة مناوراتها بموضوع «سكان طولقة يؤكدون ولاءهم لفرنسا» وهو بيان (مزور أكيد) وقعه باسم سكان طولقة المدعو حمود مسعود، ونلاحظ هنا استغلال عبد الحفيظ بن الهاشمي مدير جريدة النجاح وصاحب امتيازها لأهله وقومه وبني بلدته وتوريطهم في بيان سياسي مزيف لا لشيء إلا لأنه من مواليد مدينة طولقة وينتسب لزاويتها فكان شر سفير لقومه وعشيرته وإن سكان طولقة الطيبين أبرياء من بيان العار هذا.

نلاحظ إذن وقوف جريدة النجاح إلى جانب الإدارة الفرنسية على طول الخط حتى فيما يخص المحطات التاريخية الكبرى في مسيرة كفاح الشعب الجزائري.

فالجريدة تمضي في غوايتها ففي العدد الموالي والصادر يوم الأربعاء 17 نوفمبر 1954 تخرج الجريدة عن تحفظاتها وتدخل المعركة الإعلامية ضد الشعب الجزائري.

إننا نقرأ في الصفحة الثانية من هذا العدد ما يلي:

- «حوادث الجزائر أمام المجلس الوطني»[131].

وفيه تنشر الجريدة مقتطفات من تصريح م – منديس فرانس، رئيس الحكومة الفرنسية ووزير خارجيتها، ومنها قوله:

1- «سنتجنب سياسة الانتقام ولكننا سننزل العقاب بالمسؤولين بدون هوادة.

2- سنرسل إلى القطر الجزائري جميع القوات الضرورية لإقرار الأمن واستتابه.

3- القطر الجزائري فرنسي ولا يتصور في شأنه أية نزعة انفصالية.

4- لقد حان الوقت للحكومة المصرية لتقدر مسؤولياتها فإن هي ثابرت في عملها فسوف لا تتردد الحكومة الفرنسية في إيجاد التدابير الضرورية».

إن جريدة النجاح التي صارت تأتمر بأوامر الإدارة الفرنسية قد سارعت إلى اتهام مصر بالوقوف وراء «حوادث الجزائر» حسب تعبيرها والأكثر من ذلك أن الجريدة خصصت افتتاحية هجومية على مصر في عددها الصادر يوم السبت 20 نوفمبر 1954 تحت عنوان: «أخلاق سياسية غريبة»[132] مما ورد فيها:

«أصبحت مصر منذ بضعة أعوام بلدا مثاليا بالنسبة لعشاق تباين الأحداث واختلاف الوقائع».

ثم يعدد صاحب المقال تناقضات مصر كما يزعم، فيرى أنهم كانوا يقدمون فاروق باعتباره أعظم عاهل من بين ملوك الشرق ثم

صار في نظرهم جائرا طماعا يرتكب أنواع الفحشاء والمنكر، ثم احتل مكانه محمد نجيب فساد الاعتقاد بأن الكنانة ستسير بخطى ثابتة خلف بطلها الجديد نحو السلام والازدهار ثم ظهر من خلفه نجيب البكباشي ناصر فتركه بدون سلطة ولا نفوذ واليوم تكشف مؤامرة «الإخوان المسلمين» عن مفاجأة وتلصق بنجيب نفسه تهمة التحريض على هذه المؤامرة.

ويخلص كاتب المقال إلى بيت القصيد في قوله: «الواقع أن الكنانة تتخبط في أخلاق وصفات غريبة لا يزال عليها أن تتعلم أمورا كثيرة في ميدان الحياة العمومية قبل التصدي لإملاء نصائح على آخرين»[133].

ونستنتج من هذه الافتتاحية أن جريدة النجاح قد فتحت لها مكتبا في مبنى وزارة الخارجية الفرنسية إضافة إلى سلسلة مكاتبها وهواتفها مع مختلف الوزارات والدوائر وانبرت تعادي من تعاديه فرنسا، وتتهم من تتهمه فرنسا، وهكذا خلصت إلى التصريح باسم الشعب الجزائري أنه لا يريد نصائح من مصر.

لقد حاولت الجريدة ممارسة التضليل الإعلامي في الأعداد اللاحقة حيث راحت تصدر متجاهلة الحديث عن حقيقة الهجومات الأولى لثورة نوفمبر فالقارئ للأعداد الثلاثة الصادرة في العشرة أيام الأخيرة من شهر نوفمبر 1954 يشعر وكأن أكذوبة عودة الهدوء التي أطلقتها الجريدة في عدد 4245 ليوم 06 نوفمبر 1954 هي خبر حقيقي تريد الجريدة ترسيخه في الأذهان، ما جعل الجريدة لا تعود إلى الحديث عن ثورة نوفمبر إلا في العدد الصادر يوم الأربعاء 01 ديسمبر 1954 وبمعالجة إعلامية مشبوهة حيث نجد العنوان

التـالي: «وزيـر الداخليـة م – ميتران يؤكـد: عـزم الحكومـة علـى استئصـال جـذور الفتنـة»[134] ونقـرأ فيـه تغطيـة وافيـة لزيـارة وزيـر الداخليـة الفرنسـية إلى الجزائـر وجبـال الأوراس، حيـث تفقـد آثـار الهجومات في باتنة وسهول الوادي الأبيض وآريس. ولم تغفل الجريدة في تغطيتهـا إبـراز غضـب واسـتنكار الإدارة الفرنسـية وعمـوم السكان لتلك الأعمال الإرهابية حسب وصف الجريدة.

ومن الواضح أن هيئة تحرير الجريدة قد بدأت تعي حقيقة الوضع مـع مـرور الأيـام حيـث أدركـت أن القطيعـة بـين الشـعب الجزائـري وفرنسا الاستعمارية أصبحت تتنامى، فعادت من جديد إلى ممارسة أسـاليب التعتيم والتغييب وعـدم نشـر أي خبر أو تعليق يخـص ثـورة نوفمبر التي بدأت معالمها تتضح أكثر لـدى مختلف وسـائل الإعـلام في الـداخل والخـارج، غيـر أن جريـدة النجـاح وبتوصـية مـن الـدوائر الاستعمارية تعاملت مع هذه الثورة في انطلاقتهـا وكأنهـا لا حـدث، والأكثر من ذلك فإن الجريدة بـادرت إلى نشـر موضـوع ثقـافي ديني في عـدد الأربعـاء 22 ديسـمبر 1954، نقلـتـه عـن مجلـة رسـالـة بـاكستان بتوقيـع «الأستـاذ محمـد شفيـع». والقـارئ لهذا الموضوع المنشـور تحـت عنـوان «حقـوق المسـلمين في الشـريعة الإسـلامية»[135] يكتشف فيه دلالات وإيحاءات سياسية كثيرة، وكأننـا بالجريـدة وهي تنفض يديها من الدفاع عـن حقـوق الأهـالي تقفـز لتـدافع تحـت شعار خدمة الثقافة والدين إلى الدفاع عن حقوق غير المسلمين.

وممـا ورد في ذلـك المقـال الكـبير الحجـم قـول صـاحبه: «فالـدين الإسـلامي، ديـن الإخـاء والتسـامح، ديـن الإنسـانية والعـدل والمساواة والتراحم، هـو الـدين الـذي حفـظ حقـوق غـير المسـلمين كمـا يحفـظ

حقوق المسلمين. فقد أمن غير المسلمين على حياتهم وأموالهم وأعراضهم وحريتهم لا يضارون في شيء ما حفظوا العهد وأوفوا الذمة».

إن أبرز تلميح سياسي أرادت الجريدة تمريره من خلال هذا المقال هو توجيه الرأي العام إلى استنكار ورفض حرب التحرير التي أعلنتها جبهة التحرير في بيان أول نوفمبر 1954. وإننا يمكن أن نستخلص من كل ما تقدم حقيقة المواقف السياسية المشينة والمخزية التي وقفتها جريدة النجاح من كفاح الشعب الجزائري وصراعه المرير ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم.

ولذلك فإن شهادة "الشيخ حماني أحمد" بشأن «مامي إسماعيل» رئيس تحرير جريدة النجاح، شهادة تحتاج إلى تدقيق ومراجعة حيث ذكر: «لكن موقفه ايعني مامي إسماعيل) الأروع أنه لما نشبت الثورة عام 1954م، لم يندفع في مقاومتها واقتصر في الجريدة على رواية الأخبار كما ترد من مصادرها، وقد بلغني أن الإدارة الاستعمارية حاولت منه أن يهاجم الثورة ويقف بجانب فرنسا أو تسحب منه عونها فامتنع وقال: (لا أريد أن أموت كالكلب في أزقة قسنطينة) وربما سمعت هذا بأذني منه ولما توقفت الإدارة عن عون (النجاح) توقفت الصحيفة أوائل عام 1957م ولم يلبث إسماعيل -عفا الله عنه- أن مات في يناير عام 1958م وقد مات حتف أنفه لم يسئ إلى الثورة ولم تقتله خلافا لما جاء في رواية بعضهم ونشره في كتابه»[136].

إن الحقيقة الموثقة في أرشيف جريدة النجاح هي أن الجريدة قد أساءت كثيرا لكفاح الشعب الجزائري، وبادرت في أعداد شهر

نوفمبر 1954 كما رأينا إلى التعتيم على الثورة التحريرية المجيدة وتشويه صورتها ووصف الهجومات بالأعمال الإرهابية المجرمة، كما بادرت إلى استصدار بيانات مزورة باسم أعيان قسنطينة الأفاضل وسكان طولقة الكرام يستنكرون فيها تلك الأعمال ويعلنون ولاءهم لفرنسا. والأكيد أن مدير الجريدة وصاحب امتيازها عبد الحفيظ بن الهاشمي وكذلك رئيس قلم التحرير والمتصرف العام: مامي إسماعيل مسؤولان كلاهما عما ورد في الجريدة من تعتيم وتضليل وتشويه لكفاح الشعب الجزائري وبعد أن مرت الجريدة بمرحلة الخط الإصلاحي في بدايتها أصبحت انتفاعية في الثلاثينات والأربعينات وانتهت متزلفة في الخمسينات، وإذا كان أحمد حماني يرى أن سبب اندثار الجريدة يعود إلى رفضها خيانة الثورة فتوقفت الإدارة الفرنسية عن دعمها ماديا ومعنويا، فإننا نرى أن نهاية جريدة النجاح هي حتمية تاريخية بعد أن وصلت الثورة التحريرية المجيدة إلى ذروة قوتها، وأصيب الاستعمار الفرنسي بالارتباك، فراحت مؤسساته تتهاوى ولم تجد ترسانته الإعلامية والتضليلية ما تسوقه من إشاعات وتنشره من أباطيل، فانفض قوم المرتزقة والعملاء من حوله فوصلت جريدة النجاح إلى المحطة الأخيرة، حيث ربطت مصيرها بمصير الاستعمار الفرنسي وبعد أن تقنعت بقناع الأهالي الاندماجيين أو أنصار الوجود الفرنسي في الجزائر لسنوات طويلة فإنها في أواخر شهور عمرها قد استغنت عن كل قناع وخرجت سافرة في وضح النهار تنطق فقط بلسان الاستعمار إذ تنشر دعاياته وتغطي نشاطات رموزه، فأصبحت بحق جريدة حكومية فرنسية وإن كان لسانها عربيا فإن ذلك يزيد من تغلغل طروحات الاستعمار في أرض الجزائر

المجاهدة لقد عدنا إلى أرشيف جريدة النجاح لسنة 1955 وحاولنا اقتفاء آثار الثورة التحريرية عبر صفحاتها فلم نجد لصداها أي ذكر فالجريدة مصرة على إظهار الوضع وكأنه طبيعي جدا: لا معارك ولا شهداء من طرف المجاهدين وبالمقابل لا مداهمات ولا قتل ولا اعتقالات من طرف الاستعمار الفرنسي في حق أبناء الشعب الجزائري. لقد تصفحنا بدقة كبيرة مختلف الأعداد الصادرة في شهري أوت وسبتمبر 1955 بحثا عن كيفية تغطية الجريدة ومعالجتها لهجومات 20 أوت 1955 على الشمال القسنطيني بقيادة الشهيد البطل: زيغود يوسف رحمه الله وهي الهجومات التي زعزعت أركان الاستعمار الفرنسي وهزت الرأي العام العالمي واعتبرها كثير من الباحثين والمؤرخين بمثابة الانطلاقة الكبرى لثورة نوفمبر 1954 المجيدة ولكن جريدة النجاح التي أصبحت تصدر في ورقة واحدة بصفحتين من الحجم الكبير وبإخراج أنيق وطباعة جيدة، تعاملت مع هجومات 20 أوت 1955 بالطريقة التالية:

- يوم 20 أوت 1955 عدد: 4321: مثل الأعداد السابقة: لا خبر أو تعليق عن الثورة التحريرية ولا حتى عن أي مظهر من مظاهر الصراع[137] ضد الاحتلال الفرنسي فالجريدة تقدم مادة إعلامية ثرية توحي من خلالها إلى أن الوضع السياسي والعسكري في الجزائر طبيعي جدا يسوده الهدوء التام.

- يوم 24 أوت 1955 عدد: 4322: الجريدة تنشر موضوعا افتتاحيا بالعناوين التالية:

  • جولة سمو الوالي العام جاك سوستال.
  • لوطن وادي سوف وباتنة وجبال الأوراس.

- الوالي يصرح بين جماهير سكان أوراس: أن فرنسا لها غاية واحدة ألا وهي إرجاع النظام والطمأنينة.

إننا نلاحظ كيف أن الجريدة تحاول لفت أنظار الرأي العام نحو القبضة الحديدية للاستعمار على الأوراس متجاهلة بذلك انتصار الهجومات المظفرة للمجاهدين على قلاع الاستعمار في الشمال القسنطيني، ونلاحظ أيضا تعتيما كاملا على هجومات 20 أوت 1955.

- يوم 27 أوت 1955 عدد: 4323: الجريدة تنشر خبرا افتتاحيا ظاهره الإعلام وباطنه الترهيب وجاءت صياغته كما يلي:
- بسط حالة الاستعجال – على كامل القطر الجزائري.
- وزير الداخلية الفرنسية يطالب الحكومة ببسط حالة الاستعجال .

أما الأربعة أعداد اللاحقة فإن الجريدة مضت فيها نحو ما ألفته من تعتيم وكأن الوضع في الجزائر لا يعنيها ولا تلتفت إليه إلا بالقدر الذي تراه إدارة الوالي العام «م. جاك سوستال».

- السبت 10 سبتمبر 1955 عدد: 4327: نقرأ الموضوع الآتي:
- وصول بعثة إدارية إلى قسنطينة للبحث عن مأساة العشرين أوت ومما ورد في هذا الخبر: «نشرت وزارة الداخلية البلاغ التالي: كانت حوادث العشرين أوت المتصل موضوع تأويلات وإشاعات غير صحيحة في بعض الأوساط، فطلب الوالي العام على القطر الجزائري من وزير الداخلية إيفاد وإرسال متفقدين عموميين للإدارة للبحث عن أصل الثورة وتطورها وسيرها

والظروف التي خابت وفشلت فيها، وعواقب هذه الثورة من جميع الوجوه والاستنتاجات المستخرجة منها».

- وصول البعثة الإدارية إلى العاصمة الجزائرية.

إننا نلاحظ استخدام وزارة الداخلية في هذا البلاغ الكلمة «الثورة» وهذا يدل على مقدار نظرة الإدارة الفرنسية للوضع في الجزائر بعد وقوع هجومات 20 أوت 1955 وبالمقابل نلاحظ تردد جريدة النجاح وارتباكها في النظر إلى حقيقة الأوضاع.

- الأربعاء 14 سبتمبر 1955 عدد: 4328: نقرأ موضوعا افتتاحيا فصلت عناوينه بالبنط العريض كما يأتي:

- سمو الوالي العام على القطر الجزائري.
- م. جاك سوستال يقرر التدابير اللازمة للأمن ناحية سكيكدة والقل.
- ويدرس مع السلطات المحلية الحالة في الشرق شمال العمالة القسنطينية.

وبعد عرض تفاصيل الخبر والزيارات الميدانية تذيل الجريدة الموضوع بتصريح الوالي العام ومما جاء فيه: «لقد رأيت بألم كبير الجراحات التي تحملتها هذه الجهة بعد حوادث العشرين أوت المؤلمة، فعلى جميع المسؤولين على النظام –مدنيين وعسكريين– أن يسعوا بجميع الوسائل لإرجاع الثقة والصفاء، ذلك هو الشرط الجوهري لانبعاث جديد ولتتجيز مأموريتنا الناجعة في القطر الجزائري».

لقد لاحظنا اختفاء صوت الجريدة خلف صوت الإدارة الفرنسية، كما لاحظنا تحولها إلى بوق يمرر الخطاب الاستعماري، فحيثما يكون سمو الوالي العام -كما تسميه- تكون جريدة النجاح ورغم أن الثورة التحريرية قد خطت خطواتها الكبرى في محاربة الاستعمار الفرنسي وخاصة بعد هجومات 20 أوت 1955 وأن القطيعة بين الشعب الجزائري والإدارة الفرنسية قد أصبحت قطيعة حقيقية إلا أن جريدة النجاح واصلت توجهها كمنبر إعلامي حكومي بين يدي «م. جاك سوستال» ففي عددها الصادر يوم الأربعاء 21 سبتمبر 1955 تحت رقم 4330 تنشر الجريدة موضوعا رئيسا على صدر صفحتها الأولى تحت عنوان:

- ستواصل فرنسا في القطر الجزائري -مشروعها العمراني-.
- من خطاب هام لسمو الوالي العام م. جاك سوستال.

ولقد استوحت الجريدة هذا التصريح من تغطيتها لزيارة قام بها «سوستال» إلى «المدية» حيث استقبل من طرف الأعيان والقياد وأقيمت له مأدبة طعام، وإنه ليس خافيا ما لهذه الزيارة وذلك التصريح من مدلولات سياسية أرادت جريدة النجاح من خلال إبرازها التأكيد على خطها الافتتاحي، وتوجهها السياسي من حيث كونها جريدة آمنت بمشروعية الوجود الفرنسي في أرض الجزائر وصدقت أطروحة سياسة الإدماج.

4/ توجهاتها:

لقد صدرت جريدة النجاح في السنة الموالية لنهاية الحرب العالمية الأولى. وبموجب قانون 04 فيفري 1919 الذي منح الأهالي الحق في إنشاء الصحف الناطقة باللغة العربية، ويشرح "سعد الله أبو القاسم" موقع هذه الجريدة في المشهد الإعلامي والظروف السياسية التي ظهرت فيها فيقول: «ومن بين الظواهر الهامة التي جاء بها العقد التالي للحرب هو إعادة ظهور وتدعيم الصحافة الوطنية، فكل اتجاه سياسي وثقافي... كان له صحافته التي تعكس برنامجه، ومن بين الصحف والمجلات المؤثرة خلال العشرينات: "الإقدام" الناطقة باسم الحزب الإصلاحي، و"المنقذ" و"الشهاب" الناطقتان باسم العلماء و"التقدم" الناطقة باسم الحزب الليبرالي و"النجاح" التي كانت عندئذ مستقلة ومعظم هذه الصحف كانت إما بالعربية وإما باللغتين»[138]. ويستفاد من هذا الحكم للمؤرخ والباحث القدير "سعد الله أبو القاسم" أن الخط الافتتاحي لجريدة النجاح في السنوات الأولى من صدورها كان خطا مستقلا فهي جريدة مستقلة غير حزبية وغير متخندقة خلف تيار معين، لقد حاولت في بداياتها أن تكون جريدة مفتوحة على كل التيارات والطروحات والرؤى، حتى أننا نجد للطرح الإصلاحي حضورا في هذه الجريدة فالكثير من أقلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقعت مقالات منشورة عبر صفحاتها بل إن "طالبي عمار" يؤكد على أن ابن باديس كان من المؤسسين لهذه الجريدة إذ يقول: «.... وفي السنة نفسها [يقصد 1919] أصدر الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي جريدة "النجاح" التي كانت حرة، واشترك عبد الحميد بن باديس

في تأسيسها»[139]، هذه الحقيقة يثبتها أيضا "مرتاض عبد المالك" فيقول عن صدور جريدة النجاح: «قد شارك في تأسيسها أيضا بن باديس، ثم انسحب لما تنكرت هذه الجريدة للمبادئ الوطنية وأصبحت لسانا من ألسنة الحكومة الاستعمارية»[140].

ومهما يكن من أمر فإن هذه الجريدة انطلقت في تأسيسها على أساس كونها مشروعا وطنيا يحتضن بذور الحركة الوطنية بتياراتها الإصلاحية والاستقلالية فوجدنا في أرشيفها لسنوات العشرينات كتابات قوية نابضة بالحياة مبشرة بميلاد وعي حضاري وسياسي واعد، فاجتمعت أقلام الأمة في فضائها ووقعت حضورها على صفحاتها ابتداء من الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى توفيق المدني وانتهاء بالشاعر محمد العيد آل خليفة، ومما يذكره الشيخ "حماني أحمد" في تلك المرحلة: «وكتب في النجاح أيضا الشيخ العربي التبسي، والأديب محمد النجار الحركاتي، والشيخ أبو يعلى الزواوي وغيرهم، وازدهرت حركتها حتى أصبحت أول يومية عربية جزائرية»[141]. ويبدو أن الاستعمار الفرنسي الذي أحكم قبضته على البلاد في تلك السنوات الحالكات وطارد كل شارد أو وارد من عمل اشتم فيه رائحة العداء لسياسته أو الرفض لوجوده، فشنها حربا ضروسا ضد الصحافة الوطنية، قد تفطن إلى ما تربو به هذه البذرة الطالعة من أزقة قسنطينة فسارع إلى تطويق الحصار عليها وشراء ذمم أصحابها فلوحظ تململ خطها في نهاية العشرينات، ثم باعت التزاماتها للإدارة الفرنسية ابتداء من الثلاثينات فقبض أصحابها ثمنا بخسا من أموال يضخها عليهم الصندوق الأسود، واشتراكات

القياد والبشغاوات والطرقيين وجموع السائرين في ركب الاستعمار الغاشم فتحولت جريدة النجاح إلى شجرة زقوم ترعى مصالح الإدارة الفرنسية وتمتدح سياستها مبشرة بالإدماج، وبلغ بها حماسها إلى مناوشة التيار الإصلاحي والاصطدام برموزه والسخرية منهم وفي ذلك يقول "ناصر محمد": «ولكن النجاح لم تكن مثل غالب الصحف التي صدرت في العشرينات والثلاثينات صحيفة ذات مبدأ واضح، واتجاه معين، إذ كانت تجعل المصلحة المادية والرواج الجماهيري فوق كل اعتبار، فسارت سيرة فيها كثير من المراوغة والنفاق، فوجد الحكام الاستعماريون المحليون ومن لف لفهم، على صفحاتها دعاية لهم، وارتضوا سياستها التي تنتهجها ضد الحركة الإصلاحية حين راحت تساند الطرقيين ضد حركة الشيخ بن باديس وتشد من أزر الجامدين الذين كانوا يناوئون حركة الشيخ بيوض في الجنوب»[142].

إننا نجد في أرشيف جريدة النجاح كثيرا من الكتابات ظاهرها عسل وباطنها سموم وهي كتابات تركب موجة الحرص على الأهالي ولكنها في الحقيقة أحرص على مصلحة الاستعمار، فالنجاح لا تتورع في الحديث عن العلم وترقية التعليم والنهوض بالمجتمع، والدفاع عن الإسلام والحث على العمل والاهتمام بالفلاحة والدعوة إلى السلم والأمان وغيرها من المواضيع والقضايا ولكن الطروحات والرؤى التي تقدمها تصب في إطار سياسة الإدارة الفرنسية، فالجريدة تبرز مجهودات هذه الإدارة وتحث القراء على الثقة فيها، كما تعمل على ترسيخ فكرة أن ممثلي الشعب الجزائري سياسيا هم القياد والبشغاوات، وأن المراجع

الدينية هم الأئمة الرسميون، ورؤساء الزوايا والطرقيون، لقد وجدنا في مختلف أعداد الجريدة حضورا قويا للوجهاء والقياد وهم يتسلمون أوسمة الاحترام من يد رجال الإدارة الفرنسية، كما قرأنا مئات الإعلانات عن ترقية هؤلاء إلى بشغوات، بل وجدنا مثلا في عدد 28 جانفي 1938 وعلى صدر الصفحة الأولى موضوعا افتتاحيا بعنوان: «الميعاد الخيري – أحباب فرنسا»[143] تتحدث فيه عن الاحتفالات الضخمة التي عاشتها خنشلة «تمتينا لروابط الصلة بين العائلتين العظيمتين: العائلة القانية والعائلة الشنوفية وتكريما للسيد الهاشمي بن شنوف بمناسبة تسميته باش آغا وتسمية شقيقه الجيلاني قائدا لأعراش ببار» ونقرأ في صدر الموضوع: «إنه لا شيء يضمن العلائق الحسنة لا بين المسلمين فقط بل وبين الفرنسيين والأهالي سوى الاتفاق والسلام والطمأنينة. هذه الفكرة العظيمة ستترأس في المستقبل أعمال جمعية أحباب فرنسا – الميعاد الخيري» وتكون جريدة النجاح هي الأخرى قد تبنت توجه هذا الميعاد الخيري: أحباب فرنسا، فسارت في اتجاه اندماجي عتمت من خلاله على نضال الشعب الجزائري وغطت على جرائم الاستعمار الفرنسي واستثمرت كل شيء بأساليب مباشرة وغير مباشرة، لتمديد عمر الاستعمار في أرض الجزائر، وسعت في ذلك بنشر الأكاذيب والأراجيف مرة واستصدار بيانات مزورة مرة أخرى، وتاجرت في كل شيء لخلق سلام وهمي بين الضحية والجلاد، وها هي مثلا في أحد أعدادها تمتدح السلام باستغلال شخصية وتراث الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى فيقول صاحب المقال المدعو «الصدقاوي»: «إن زهير بن أبي سلمى كان شاعرا اجتماعيا، قبل أن يكون شاعرا عاطفيا، فقد قضى جل حياته في الدعوة

إلى الإصلاح، وإلى تهذيب النفوس، وتطهير القلوب... فمذهبه الفضيلة وإنشاء مجتمع متماسك الأجزاء، متين الأركان، تغمره موجة المودة والإخاء والوئام»[144]. لقد غاب عن هذه الجريدة أن توجهاتها كانت عكس حركة التاريخ وإلا ما تحدثت عن مودة وإخاء بين الاستعمار الفرنسي والشعب الجزائري. وما عملت على تغطية الشمس بالغربال. لقد تبنت جريدة النجاح توجه الحكومة الفرنسية، ما جعل الباحثين والدارسين يعتبرونها صحيفة حكومية إذ يقول "إحدادن زهير": «وليست الصحافة الحكومية إلا ركيزة لتثبيت الوجود الفرنسي رغم أنها كانت تنطق باللغة العربية، وإن كانت تعتني بالجوانب المختلفة للحضارة العربية الإسلامية فهي كانت أولا وقبل كل شيء دعامة للتوسع الاستعماري ووسيلة للتقرب من المسلمين، وما كان استعمالها للغة العربية إلا كأحسن وسيلة لتحقيق هدفها ولئن عرفت نوعا من النجاح في البداية فلقد بدأت تضعف قبيل الحرب العالمية الثانية وأصبحت شيئا لا يذكر بعد هذه الحرب وكانت جريدة "النجاح" في هذه الفترة الأخيرة هزيلة يهزأ بها»[145].

لقد تأسست جريدة النجاح سنة 1919 كما رأينا وانطلقت حرة ولكنها إصلاحية تتفاعل إيجابيا مع مختلف تيارات الحركة الوطنية، إلا أنها لم تواصل مسيرتها فأخطأت التوجه إذ فرطت في التزاماتها وارتبطت بالحكومة الفرنسية وصارت منبرا لطروحاتها ومرآة لخياراتها فكانت صورة "النجاح" في نظر الأمة الجزائرية هي نفسها صورة الاستعمار الفرنسي وكان مصيرها من مصيره: نهاية وزوالا.

الخاتمة

لم تكن ولادة الصحافة العربية في الجزائر، خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر ولادة يسيرة، بل كانت عسيرة جدا، وسط ظروف تاريخية استعمارية صادرت حق الإنسان في أرضه وفي نفسه، فلم يكن هناك مجال لحرية التعبير، فكان الكلام المنشور يخضع للرقابة البوليسية والعسكرية المتشددة من قبل إدارة فرنسية تتشمم خطورة الكلمة تماما كما تحذر خطورة الرصاصة. ووسط أهوال الرقابة والمصادرة والتعليق، شقت الصحافة العربية الجزائرية طريقها مقدمة تضحيات جسام في سبيل تجسيد حد أدنى من الحق في الإعلام لشعب مسلوب الحقوق جميعها. فكانت جريدة النجاح بذرة طيبة مغروسة في أرض قسنطينة الفيحاء، ترتوي من دم نخبتها العربية وتتنفس دعم التيار الإصلاحي وتحتمي بقلاع شعب أبي يعتصم بحبال هويته وسط إعصار من الاجتثاث والاستئصال، لقد كانت جريدة النجاح تجربة رائدة في تاريخ الصحافة العربية والمغاربية، كما كانت تجربة طموحة استطاعت احتضان أقلام التيار الإصلاحي لأكثر من عشر سنوات. ولكن الإدارة الفرنسية التي تعودت القتل أو التركيع قد استطاعت ترويض هذه الصحيفة وأن تشتري بمال بخس هيئة تحريرها لتوظفها في صالح طموحاتها ومشروعاتها الاستعمارية. لكن ومهما يكن من أمر توجهات هذه الجريدة فإنها تظل تجربة رائدة في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية يحتاج

إلى تحليل مادتها الإعلامية: المؤرخ والباحث والناقد سواء بسواء ففي أرشيفها الممتد من سنة 1919 إلى سنة 1956 كثير من التراث والتصورات والرؤى. وما أحوجنا اليوم إلى العودة إلى دراسة وتحليل الأرشيف بعد أن استهلكت الدراسات نفسها، فالأرشيف من شأنه أن يعطي البحث مصداقيته كما يعطي للدراسات دما جديدا.

إن المسار الطويل والعمر المديد لجريدة النجاح، يجعلها مرآة تعكس مختلف جوانب تطور المجتمع الجزائري، فبفضل تغطيتها لمختلف أخبار القطر الجزائري، وتعاطيها مع حوادث الأمة العربية والإسلامية، إضافة إلى أخبار العالم كل ذلك يجعل من هذه الجريدة تراثا ضخما في حاجة إلى من ينفض الغبار عنه.

فقد أسست جريدة النجاح لصحافة عربية محترفة، تغطي الأخبار المحلية والعالمية بأسلوب إعلامي متطور، ولغة مرنة مناسبة، تستخدم المساواة بين اللفظ والمعنى متحرية الدقة والتركيز والوضوح فخلصت أسلوب النثر من الركاكة والإسفاف والحشو.

و في المجال الثقافي استطاعت تقديم مادة ثقافية ثرية ومتنوعة شملت المقالات الصحفية الجيدة التأليف والسبك وكذا القصائد الشعرية التي عكست تطور الحركة الشعرية في الجزائر والوطن العربي، مما يضع الباحثين أمام مسؤولية جمع هذا التراث الثقافي والأدبي. فالشاعر «محمد الصالح خبشاش» مثلا نشر أغلب إنتاجاته الشعرية في جريدة النجاح، حيث مازالت قصائده مبثوثة هنا وهناك في مختلف أعدادها في انتظار من يجمعها في ديوان شعري.

وإذا كانت علاقة هذه الجريدة مع التيار الإصلاحي بزعامة عبد الحميد بن باديس فيها كثير من التقلبات حيث كانت جيدة في البداية قبل أن تسوء في الثلاثينيات، فإن هذه العلاقة المترددة يمكن أن تكون من قبيل الاختلاف الإيجابي لأن الصدامات التي وقعت قد أثرت الساحة الثقافية والفكرية أولا، وعمقت الوعي الحضاري لدى المتتبعين ثانيا. وهذا من قبيل: اختلاف المثقفين رحمة. ولعل أكبر ما يشين جريدة النجاح استسلامها للإدارة الفرنسية بعد أن كانت مشروعا إصلاحيا وطنيا، وقبل إدانة مثل هذا الاستسلام والانبطاح ينبغي البحث في أسبابه وقراءة هذا التوجه ضمن سياقه التاريخي، وهو ما بيناه حيث أوضحنا قسوة الاستعمار في مراقبة الصحف وتعطيل كل من يناوش الإدارة الفرنسية بتصريح أو تلميح، ولعل اقتناع هيئة تحرير الجريدة بسياسة الإدماج، وطمعها في الفوز بالرعاية الفرنسية، من أهم أسباب دعم الجريدة للسياسة الاستعمارية.

وصفوة القول فإننا كباحثين نهتم بتعليل الظواهر أكثر من اهتمامنا بتقريرها، ونهتم بفرز الحقائق دون اتهام أو إدانة ومن وحي طبيعة وغايات البحث العلمي نؤكد على أن جريدة النجاح جزء من التراث الهام نتمنى أن نكون قد وفقنا في طرح بعض الأسئلة بخصوصه، فإن استطعنا تحقيق ذلك فبفضل الله الذي هو ولي التوفيق في البداية والنهاية.

الملحق

01- إحدادن زهير– الصحافة المكتوبة في الجزائر –ديوان المطبوعات الجامعية – جامعة الجزائر ص: 25.

02- سيف الإسلام الزبير– تاريخ الصحافة في الجزائر– ج3– ش ون ت– الجزائر 1983 – ص: 13.

03- ناصر محمد –المقالة الصحفية الجزائرية– م 1 – ش ون ت – الجزائر 1978 – ص: 42.

04- عبد الرحمن عواطف– الصحافة العربية في الجزائر – م وك – الجزائر 1985 – ص: 27.

05- إحدادن زهير – المرجع السابق – ص: 29.

06- عبد الرحمن عواطف – المرجع السابق –، ص: 29 – 31.

07- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م 1 – ص: 44.

08- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م 1 – ص: 45.

09- ينظر – حمادي عبد الله: أصوات من الأدب الجزائري – دار البعث قسنطينة 2001، ص 313 – 339.

10- حمادي عبد الله – نفس المرجع – ص: 328.

11- ينظر تراجم الكثير من الشخصيات القسنطينية في كتاب: «الصيد سليمان» نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار – ط1 – المطبعة الجزائرية للمجلات – الجزائر 1994.

12- سيف الإسلام الزبير– تاريخ الصحافة في الجزائر – ج 4 – م وك – الجزائر 1985– ص: 27.

13- ينظر – الصيد سليمان – المرجع السابق –، ص: 121 - 125.

14- حمادي عبد الله – المرجع السابق – ص: 330.

15- سيف الإسلام الزبير– المرجع السابق – ج 4 – ص: 36.

16- الصيد سليمان - المرجع السابق- ص: 130.

17- الصيد سليمان – المرجع السابق – ص، ص: 133، 135.

18- الصيد سليمان – المرجع السابق – ص: 142.

19- ينظر – سيف الإسلام الزبير– المرجع السابق – ج 3 –، ص: 59 - 79.

20- سيف الإسلام الزبير – المرجع السابق – ج4 – ص: 56.

21- ينظر: الصيد سليمان – المرجع السابق ص، ص : 158 - 168.

22- عبد الرحمن عواطف– المرجع السابق – ص: 37.

23- الصيد سليمان – المرجع السابق – ص: 165.

24- عبد الرحمن عواطف – المرجع السابق – ص: 38.

25- حماني أحمد – صراع بين السنة والبدعة – ط1 – دار البعث قسنطينة 1984 – ج1 – ص: 128.

26- عبد الرحمن عواطف – المرجع السابق – ص: 37.

27- الصيد سليمان – المرجع السابق – ص: 158.

28- جريدة النجاح متوفرة بكل أعدادها على مستوى المركز الجهوي للأرشيف بقسنطينة من سنة 1924 إلى سنة 1956 ويذكر "ناصر محمد" أن أرشيفها متوفر بمكتبة باريس السنوات (1920 - 1930) ثم (1930 - 1954).

29- ناصر محمد – الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 – ش – و– ن – ت – الجزائر 1980 – ص: 43، 44.

30- طالبي عمار – ابن باديس حياته وأثاره – ج1 – دار الغرب الإسلامي – بيروت 1968– ص: 57.

31- مرتاض عبد الملك – فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954 – د.م.ج الجزائر 1983– ص: 534.

32- ينظر أرشيف جريدة النجاح.

33- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م2 – ش.و.ن.ت – الجزائر 1978 – ص: 219.

34- ينظر أرشيف جريدة النجاح.

35- حماني أحمد – المرجع السابق – ص: 132.

36- نويهض عادل – معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث – ص: 283.

37- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م2 – ش.و.ن.ت – الجزائر 1978 – ص: 224.

38- ينظر جريدة النجاح – عدد 152 ليوم 1924/03/28.

39- ينظر جريدة النجاح – عدد 428 ليوم 1927/05/01.

40- ينظر جريدة النجاح – عدد 983 ليوم 1930/07/17.

41- نويهض عادل – المرجع السابق – ص: 131.

42- السائحي محمد الأخضر عبد القادر – روحي لكم – م وك – الجزائر 1986 – ص: 68.

43- ينظر أرشيف جريدة النجاح سنة 1930.

44- ينظر أرشيف جريدة النجاح سنة 1938.

45- ينظر أرشيف جريدة النجاح.

46- حماني أحمد – المرجع السابق – ص: 129.

47- حماني أحمد – المرجع السابق – ص: 129.

48- ينظر أرشيف جريدة النجاح لسنة 1930.

49- ينظر أرشيف جريدة النجاح لسنة 1930.

50- ناصر محمد – الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 – ص: 43.

51- ينظر أرشيف جريدة النجاح.

52- عبد الرحمن عواطف– المرجع السابق – ص: 37.

53- ينظر جريدة النجاح – عدد 934 ليوم الخميس 15 ماي 1930.

54- سمح لنا ارتيادنا المستمر للمركز الجهوي للأرشيف بقسنطينة خلال سنة 2005 من معاينة وتصفح أرشيف جريدة النجاح من سنة 1924 إلى سنة 1955.

55- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م 1 – ص: 38.

56- هذه الأسماء المستعارة كشف «د – محمد ناصر» أصحابها الحقيقيين في قائمة ملحقة منشورة في كتابه: المقالة الصحفية الجزائرية – المجلد الثاني – ص: 237 - 238.

57- جريدة النجاح – عدد 146 ليوم 15 فيفري 1924.

58- جريدة النجاح – عدد 289 ليوم 09 مارس 1926.

59- جريدة النجاح – عدد 140 ليوم 04 جانفي 1924.
60- يذكر ناصر محمد أن الاسم الحقيقي «للفرقد» هو «سليمان بن يحي بوجناح».
61- جريدة النجاح – عدد 209 ليوم 1925/05/22.
62- جريدة النجاح – عدد 284 ليوم 26 مارس 1926.
63- ينظر جريدة النجاح – عدد 944 ليوم 28 ماي 1930.
64- ينظر جريدة النجاح – عدد 1301 ليوم 06 ماي 1932.
65- ينظر جريدة النجاح – عدد 284 ليوم 26 مارس 1926.
66- ينظر جريدة النجاح – عدد 295 ليوم 07 ماي 1926.
67- ينظر جريدة النجاح – عدد 286 ليوم 02 أفريل 1926.
68- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م 1 – ص: 115.
69- ينظر مجلة الشهاب – عدد 154 ليوم 1926/02/18.
70- ناصر محمد– المقالة الصحفية الجزائرية – م 1 – ص: 285.
71- ينظر – جريدة النجاح – عدد: 141 – ليوم: 1924/01/11.
72- ينظر – جريدة النجاح – ابتداء من عدد: 983 ليوم 17 جويلية 1930 وما يليه.
73- ينظر – جريدة النجاح – عدد: 1945 ليوم 1937/01/10.
74- ينظر جريدة النجاح من عدد 1188 إلى 1233 من تاريخ 05 أوت 1931 إلى تاريخ 18 نوفمبر. 1931
75- جريدة النجاح – عدد 947 – ليوم 31 ماي 1930.
76- جريدة النجاح – عدد 948 – ليوم 01 جوان 1930.
77- ينظر –ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م 2 – ، ص: 79- 81.
78- جريدة النجاح – عدد 276 ليوم 1926/02/26.
79- جريدة النجاح – عدد 286 ليوم 02 أفريل 1926.
80- ينظر جريدة النجاح – عدد 3987 ليوم 22 مارس 1952.
81- ينظر جريدة النجاح – عدد 1190 ليوم 09 أوت 1931.
82- جريدة النجاح – عدد 276 ليوم 26 فيفري 1926.
83- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م 2 – ص: 106.

84- الصيد سليمان – المرجع السابق – ص: 158.

85- هذا المقال يمتد من عدد 146 بتاريخ 1924/02/15 إلى عدد 151 بتاريخ 1924/03/21.

86- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م 2 – ص: 163.

87- ناصر محمد – المقالة الصحفية الجزائرية – م 2 – ص: 173.

88- جريدة النجاح – عدد 256 ليوم 1925/02/18.

89- الصيد سليمان – المرجع السابق – ص: 158.

90- الصيد سليمان – المرجع السابق – ص: 220.

91- ينظر "ناصر محمد" – الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925 – 1975، ط 1 – دار الغرب الإسلامي – لبنان 1985 – ص: 695 – 699.

92- ينظر جريدة النجاح – عدد 142 ليوم 1924/01/18.

93- جريدة النجاح – عدد 205 ليوم 09 جويلية 1937.

94- النجاح – عدد 280 ليوم 12 مارس 1926.

95- ينظر – النجاح – عدد 382 ليوم 17 ديسمبر 1926.

96- ينظر – النجاح – عدد 1198 ليوم 28 أوت 1931.

97- النجاح – عدد 1277 ليوم 1932.03.06.

98- النجاح – عدد 994 ليوم 04 أوت 1930.

99- النجاح – عدد 397 ليوم 21 جانفي 1927.

100- رماني إبراهيم – المدينة في الشعر العربي الجزائري 1925 – 1962م – و– ف – م – الجزائر 2002. ص 333، 334.

101- النجاح – عدد 355 ليوم 15 أكتوبر 1926.

102- سعد الله أبو القاسم – محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث – ط 2 – دار المعارف بمصر، ص: 218.

103- النجاح – عدد 355 ليوم 15 أكتوبر 1926.

104- النجاح – عدد 1283 ليوم 1932/03/20.

105- النجاح – عدد 947 ليوم 31 ماي 1930.

106- النجاح – عدد 2086 ليوم 01 جانفي 1938.

107- ناصر محمد – الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925 – 1975 – ص: 30.

108- مختلف الدراسات تعتبر جريدة «المنتقد المؤسسة سنة 1925» هي أول من احتضن حركة الشعر الجزائري الحديث، وهذا خطأ – ينظر مثلا: ناصر محمد – الشعر الجزائري الحديث – ص: 27 – 30.

109- ناصر محمد – الشعر الجزائري الحديث – ص: 658.

110- السائحي محمد عبد القادر الأخضر– محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب م وك – الجزائر 198 – ص: 68.

111- ينظر جريدة النجاح – عدد 629 ليوم 1928/08/17.

112- ينظر جريدة النجاح – عدد 669 ليوم 1929/10/03.

113- ناصر محمد – المقالة الصحفية – م 2 – ص: 234.

114- حماني أحمد – المرجع السابق – ص: 234.

115- إحدادن زهير – المرجع السابق – ص: 27، 28.

116- ينظر أرشيف جريدة النجاح لسنة 1930.

117- جريدة البصائر – عدد 12 ليوم 27 مارس 1936 – ص: 04.

118- ينظر أرشيف جريدة النجاح لسنة 1937.

119- حماني أحمد - المرجع السابق – ص: 131.

120- حماني أحمد - المرجع السابق – نفس الصفحة.

121- ينظر جريدة النجاح – عدد 327 ليوم 06 أوت 1926 – ص: 01.

122- ينظر جريدة النجاح – عدد 970 ليوم 08 ماي 1945.

123- ينظر جريدة النجاح – عدد 971 ليوم 12 ماي 1945.

124- ينظر جريدة النجاح – عدد 972 ليوم 15 ماي 1945.

125- ينظر جريدة النجاح – عدد 973 ليوم 17 ماي 1945.

126- ينظر أرشيف جريدة النجاح لسنة 1952.

127- ينظر جريدة النجاح – عدد 4243 ليوم 30 أكتوبر 1954.

128- ينظر جريدة النجاح – عدد 4244 ليوم 03 نوفمبر 1954.

129- ينظر جريدة النجاح – عدد 4245 ليوم 06 نوفمبر 1954.

130- ينظر جريدة النجاح – عدد 4245 ليوم 06 نوفمبر 1954.

131- ينظر جريدة النجاح – عدد 4246 ليوم 17 نوفمبر 1954.

132- ينظر جريدة النجاح – عدد 4247 ليوم 20 نوفمبر 1954.

133- ينظر جريدة النجاح – عدد 4247 ليوم 20 نوفمبر 1954.

134- ينظر جريدة النجاح – عدد 4250 ليوم 01 ديسمبر 1954.

135- ينظر جريدة النجاح – عدد 4256 ليوم 22 ديسمبر 1954.

136- حماني أحمد – المرجع السابق – ص: 132.

137- ينظر جريدة النجاح لشهري أوت وسبتمبر 1955 ابتداء من عدد 4321 إلى 4330.

138- سعد الله أبو القاسم– الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930 ج 2 – ط 3 – ش ون ت – الجزائر 1983 – ص: 314.

139- طالبي عمار – ابن باديس حياته وآثاره – الجزء الأول – ص: 57.

140- مرتاض عبد المالك – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر – ص: 120.

141- حماني أحمد – المرجع السابق – ص: 128.

142- ناصر محمد – الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 – ص: 44.

143- جريدة النجاح – عدد 2097 – ليوم 28 جانفي 1938.

144- جريدة النجاح – عدد 4002 – ليوم 14 ماي 1952.

145- إحدادن زهير – المرجع السابق – ص: 29.

قائمة المصادر والمراجع والدوريات

1/ المصادر:

أرشيف جريدة النجاح.

2/المراجع:

01/ ابن باديس حياته وآثاره، جمع ودراسة د – طلبي عمار – ج1 – دار الغرب الإسلامي – بيروت – 1968.

02/ إحدادن زهير – الصحافة المكتوبة في الجزائر – ديوان المطبوعات الجامعية – جامعة الجزائر

03/ حمادي عبد الله – أصوات من الأدب الجزائري الحديث – دار البعث قسنطينة 2001.

04/ حماني أحمد - صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس – ج1 – ط1 – دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة (الجزائر) - سنة 1984.

05/ رماني إبراهيم – المدينة في الشعر العربي الجزائري 1925 – 1962 – م، و، ف، م – الجزائر 2002.

06/ السائحي محمد الأخضر عبد القادر - روحي لكم – م وك – الجزائر 1986.

07/ السائحي محمد الأخضر عبد القادر- محمد الأمين العمودي: الشخصية المتعددة الجوانب – م وك – الجزائر 1988.

08/ سعد الله أبو القاسم - الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930– ج2 – ط3– ش ون ت

الجزائر 1983.

09/ سعد الله أبو القاسم – محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث – ط 2 – دار المعارف بمصر.

10/ سيف الإسلام الزبير – تاريخ الصحافة في الجزائر – ج 3 – ش، و، ن، ت – الجزائر 1982.

11/ سيف الإسلام الزبير – تاريخ الصحافة في الجزائر – ج 4 – م، و، ك – الجزائر 1985.

12/ الصيد سليمان – نفح الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار – ط 1 – المطبعة الجزائرية للمجلات – الجزائر 1994.

13/ عبد الرحمن عواطف - الصحافة العربية في الجزائر– دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954 – 1962 – م وك – الجزائر 1985.

14/ مرتاض – عبد المالك - نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 – ط2 – ش ون ت – الجزائر 1983.

15/ مرتاض عبد المالك - فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954– ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1983.

16/ ناصر محمد - المقالة الصحفية الجزائرية – المجلد 1 + 2 (مجلدان) – ش ون ت – الجزائر 1978.

17/ ناصر محمد - الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925 – 1975 – ط1 – دار الغرب الإسلامي – بيروت 1985.

18/ ناصر محمد - الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 – ش ون ت – الجزائر 1980.

19/ نويهض عادل - معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر.

3/ الصحف:

1- جريدة الشهاب.

2- صحيفة البصائر.

فهرس الموضوعات

سحب الطباعة الشعبية للجيش

الجزائر – 2007